

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



انظر سوره في خزانة السعاده
لعلي بن طاهر الازدري
واسند له ههنا في الحور

٢٠٧

ر

ابن وكيع النيسابوري

شاعر الزهر والنخم

جمع شعره وحققه

دكتور حسين نصار

كلية الآداب بجامعة القاهرة

الناشر

مكتبة مصير
شارع كامل صدقي باش

مكتبة المجمع

مكتبة المجمع

مكتبة المجمع

مكتبة المجمع

مكتبة المجمع

مكتبة المجمع

مكتبة المجمع

مكتبة المجمع

مكتبة المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ابن وكيع وشعره

تتيس

موطن الشاعر

تتيس ، بكسر التاء وتشديد الذون المكسورة : اسم أطلق على ثلاث بقاع : على البحيرة التي نسميها اليوم بحيرة المنزلة ، بين مدينتي بورسعيد ودمياط ، وعلى إحدى جزائر هذه البحيرة ، وكانت في شمالها الشرقي ، أى قريبا من مدينة بورسعيد الحالية ، ثم على أكبر مدن هذه الجزيرة .

وقد وصف الحسين بن محمد المهلب المدينة والبحيرة فقال^(١) : « وبحيرتها التي هي عليها ، مقدار إقلاع يوم في عرض نصف يوم ، ويكون ماؤها أكثر السنة ملحا لدخول بحر الروم^(٢) إليه عند هبوب ريح الشمال . فإذا انصرف^(٣) نيل مصر في دخول الشتاء ، وكثر هبوب الرياح الغربية ، خلت البحيرة وخلا سيف^(٤) البحر الملح مقدار بريدين حتى يجاوز مدينة الفرما^(٥) . فيئخذ يخزنون الماء في جباب لهم ، ويعدون له لسنهم . »

وقال ياقوت^(٦) : « وهناك فوهة يدخل منها ماء البحر الأعظم إلى بحيرة تتيس ، في موضع يقال له « القرباج » ، فيه مراكب تعبر من بر الفرما إلى البر

(١) ياقوت : معجم البلدان ١ : ٨٨٢ .

(٢) بحر الروم : ما نسميه اليوم البحر الأبيض المتوسط .

(٣) أى انخفض في وقت التجاريق . (٤) سيف البحر : شاطئه .

(٥) الفرما : مدينة قديمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بين العريش وتتيس .

(٦) معجم البلدان ١ : ٨٨٤ .

المستطيل ، الذى ذكرنا أنه يحول بين البحر الأعظم وبحيرة تنيس ، يسار في ذلك البر نحو ثلاثة أيام إلى قرب دمياط . وهناك أيضاً فوهة أخرى تأخذ من البحر الأعظم إلى بحيرة تنيس . وبالقرب من ذلك فوهة النيل ، الذى يلقى إلى بحيرة تنيس^(١) . فإذا تكاملت زيادة النيل غلبت حللته على ماء البحر ، فصارت البحيرة حلوة ، فحينئذ يدخر أهل تنيس المياه في صهاريجهم ومصانعهم لשתهم^(٢) .

وقال المسعودى^(٣) : « تنيس كانت أرضاً لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة ، وكانت جنائناً ونخلًا وكرماً وشجراً ومزارع . وكانت فيها مجار على ارتفاع من الأرض ، ولم ير الناس بلداً أحسن من هذه الأرض ، ولا أحسن اتصالاً من جنائنها وكرومها . ولم يكن بمصر كورة يقال : إنها تشبهها إلا الفيوم ، . واشتهرت تنيس في تاريخها القديم بالزرع والخمر ، قال ابن وصيف شاه^(٤) : « وحولها الزرع والشجر والسكر وقرى ، ومعاصر للخمر ، وعمارة لم يكن أحسن منها .

وكثر بها الطير والسمك ، قال صاحب تاريخ تنيس^(٥) : « ولتنيس موسم يكون فيه من أنواع الطيور ما لا يكون في موضع آخر ، وهى مئة ونيف وثلاثون صنفاً ، وهى : السلوى ، النفع المملوح ، النصفير ، الزرزور . . . الدبسى . . . القمرى ، الفاخسة ، النواح . . . ويصل إلى تنيس طير كثير لا يعرف اسمه صغار وكبار . . . ويعرف بها من السمك تسعة وسبعون صنفاً ، وهى البورى ، البلبو ، البرو ، اللبب

وقال ابن بطالان في وصف أهلها^(٦) : « وأخلاق أهلها سهلة منقادة ، وطبائعهم مائلة إلى الرطوبة والآنوثة . . . وهم يحبون النظافة والدماثة والغناء واللذة ، وأكثرهم يديتون سكارى . . . وكان يسكن بمدينة تنيس ودمياط نصارى تحت الذمة .

(١) يريد الفرع الثانيسى من النيل ، الذى كان يصب حينذاك بجوار تنيس .

(٢) المصانع : الأحواض التى يخزن فيها الماء . (٣) خطط المقرئى ١ : ١٧٧ .

(٤) خطط المقرئى ١ : ١٧٦ . (٥) ياقوت : معجم البلدان ١ : ٨٨٦ .

(٦) خطط المقرئى ١ : ١٧٧ .

وابن وكيع ربيب هذه البيئة حقا ، وشعره معرض فنى لمناظرها المختلفة .
فالشاعر خفيف الروح كل الخفة ، لا تكاد تقرأ له مقطوعة حتى يملك عليك
أنفاسك ، ويستولى على حبك ؛ فهو من هذا الوجه مصرى خالص ، وهو محب
للتظافة موالع بها ، يغيظه من الصيف عرقه وتوسينه الثياب :

يعلو به الكرب ويشدد القلق وتنضح الأبدان منه بالعرق
تبصره فوق القميص قد علا حتى ترى مبيضه مصبدا

أما الغناء واللذة والخمر فقد شغلت حياته كلها ، وشعره جميعه . قال :
« فإننى شيخ الملاحى والغزل ، وإننا لنستطيع أن نصف شعره بأنه دعوة إلى
شرب الخمر من كف غلام نصرانى ، وقد أخذ المغنى فى الشدو ؛ فهذا هو العيش :

واشرب عقارا طال فينا كونها يصفر من خوف المزاج لونها
من كيف ظي من بنى النصارى ألبابنا فى حسنه حيارى
لا سيما مع مسمع وزامر قد سلما من وحشة التنافر
دونك هذى صفة الزمان مشروحة فى أحسن البيان

وقد كان لابن وكيع حوار طويل مع غلامه النصرانى ، صورته فى مربعتيه
أجمل التصوير وأوسع .

وإذن فشعر ابن وكيع أصدق صورة وأجملها لبيئة تنيس . وكانت تنيس
مدينة الربيع والخمر ، فكان ابنها شاعر الربيع والخمر .

ولا أدل على ذلك الذوق الفنى للجمال الذى كان يتحلى به أهل تنيس ، من
تلك الصناعة التى اشتهروا بها . قال المقرئى^(١) : « وكان أهلها مياسير أصحاب
ثراء ، وأكثرهم حاكه ، وبها يحاك ثياب الشروب التى لا يصنع مثلها فى الدنيا .
وكان يصنع فيها للخليفة ثوب يقال له « البدنة » لا يدخل فيه من الغزل سدها
ولحمته غير أوقيتين ، وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة ، لا تحوج إلى تفصيل
ولا خياطة ، تبلغ قيمته ألف دينار . وليس فى الدنيا طراز ثوب كتمان يبلغ
الثوب منه ، وهو ساذج بغير ذهب ، مئة دينار عينا ، غير طراز تنيس
ودمياط . . وإن كانت شطا وديفو ودميرة وتونة وما قاربها من تلك الجزائر ،

يعمل بها الرفيع ، فليس ذلك يقارب التنيسى والدمياطى . وكان الحمل منها إلى ما بعد سنة ستين وثلاث مئة يبلغ من عشرين ألف دينار إلى ثلاثين ألف دينار لجهاز العراق .

وقال الحسين بن محمد المهلبى^(١) : « أما تنيس فالحال فيها كالحال فى دمياط إلا أنها أجل وأوسط ، وبها تعمل الثياب الملونة والفرش والأبوقلمون ، والأبوقلمون هذا من الحرير المتغير اللون ، قيل : إنه يبدو فى ألوان متغيرة فى كل ساعة من ساعات النهار^(٢) . وقال السكندى^(٣) : « بتنيس ثياب السكتان الدبقي ، والمقصور الشفاف ، والأردية ، وأصناف المناديل الفاخرة للأبدان والأرجل ، والمخاد ، والفرش المعلم ، والطرز ، وخمسة آلاف منسج لنسج الأقمشة ، وكثيراً ما نسجت كسوة السكجة بها^(٤) . وقد أثرت هذه الصناعة وهذه الطرز فى مخيلة الشاعر تأثيراً عظيماً ، فأكثر من تشبيه الدنيا فى أيام الربيع ، وقد حلتها الأزهار ، بالوشى الجميل حلتة الرسوم .

وكان هذا سبباً فى غنى المدينة ، حتى اشتهرت بذلك . قيل^(٥) : إن الأوزاعى رأى بشر بن مالك يلتبط^(٦) فى المعيشة ، فقال : « أراك تطلب الرزق ، ألا أدلك على أم متعيش ! » قال : « وما أم متعيش ؟ » قال : « تنيس ! ما لزمتها أقطع اليدين إلا ربه . » قال بشر : « فلزمتها فكسبت فيها أربعة آلاف » .

ولم يشتهر أهل تنيس بالغنى واللهو وحب الجمال حسب ، بل اشتهروا بالعلم أيضاً . حكى عن يونس بن صبيح ، أنه رأى بها خمس مئة صاحب محبرة يكتبون الحديث^(٧) . ولعل فى خبر الأوزاعى السابق ما يؤيد ذلك ، إذ ما كان يبعث صاحبه وهو الفقيه المشهور إلى مدينة اللهو والخمر ، إن لم يكن للعلم فيها سوق رائجة أيضاً . وشارك شاعرنا فى هذه الحياة العلمية ، وألف كتاباً يسمى المنصف ، نقد فيه المتنبي وتتبع سرقاته . ويدل الجزء الباقي منه على جهد خاص جدير بالتقدير .

(١) ياقوت : معجم البلدان ١ : ٨٨٢ .

(٢) تلى : فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ٣٠٦ .

(٣) خطط على مبارك ١٠ : ٥٠ .

(٤) خطط المقرئى ١ : ١٨١ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ١ : ٨٨٣ .

(٦) يلتبط : يحنال ويجهد .

(٧) نفس المرجع .

إلى جانب وقوعهما تحت سيطرة كافور في حياتهما . وانقضت الدولة على يد الصبي أحمد بن علي الإخشيد .

ولم يكن الوزراء ولا الأمراء ولا الكهراة ولا كل من تصدى للوظائف العامة ، بأحسن حفا من سابقهم . فنهايتهم القتل أو السجن أو التشريد ، وما جمعوه من أموال مآله إلى المصادرة ، وما بنوه من منازل خاتمه الإحراق والهدم . فكان من الغريب الجدير بالالتفات أن كافورا « لم يزل في مملكته وسعاده إلى أن توفي ^(١) » ، ولقد قال المتقي ، ثاني خليفة سُمِلت عيناه في هذا القرن ، قولته التي صارت مثلاً في الخليفة المستكفي ^(٢) : « صرنا اثنين ونحتاج إلى ثالث » ، وما لبث أن تحققت كلمته ، فخلع المستكفي وسمل ، وسجن معهما .

يضاف إلى ذلك غارات الروم والقرامطة والفتن التي لم تخل منها سنة ، فجعلت العالم الإسلامي كأنه بركان ثائر ، أو منطقة زلازل مستمرة ، لا يكاد يفيق من التقتيل والتشريد .

كل هذا رسم أمام ابن وكيع صورة مفزعة لحياة الخلفاء والكهراة ، هزت أعصابه هذا ، وتركت في نفسه أثراً لم يمح البتة . ولعل هجرة أسرته من الأهواز إلى مصر كانت لبعض الأسباب المتصلة بهذه الثورات والتقلبات . ولعل هذا كان من العوامل التي جعلته يكب على الخمر ، يقول :

وإن أتوك فقالوا : كن خليفتنا فقل لهم : إني عن ذاك مشغول
فإن ذلك أمر مع نفاسته ونبله بقناء العمر موصول
وارض الخول فلا يحظى بلذته إلا امرؤ خامل في الناس مجهول

فالخول هو أمان الرجل في ذلك العصر :

لقد قنعت همتي بالخول وصدت عن الرتب العاليه
وما جهلت طعم طيب العلا ولكنها تؤثر العافيه

(١) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ٣ : ٢٥٦ .

(٢) نفس المرجع ٢٨٢ .

وكثيراً ما ضرب الأمثلة بتقلب الدهر بالأحرار ، وأخذ يعاتبه لذلك ،
يقول في الخبر :

أحكامها في العقل إن هي حكمة أحكام صرف الدهر في الأحرار
ويقول :

وأكثر في الهجر العتاب كما أني لدهرى من ظلم الكرام أعاب

بنو ضَبَّة^(١)

قبيلة الشاعر

تنسب هذه القبيلة إلى ضبة بن أد بن طابخة بن مضر، وهو أخو عبد مناة ومزينة، وعم تميم بن مر. وقد تسمى بهذا الاسم جماعة آخرون، اشتهر منهم ضبة بن عمرو الهذلي، وضبة بن الحارث بن قريش. وعد بعض اللغويين بني ضبة من الرباب، وهو الاسم الذي يطلق على بني عبد مناة وحدهم.

وكانت مراعى هذه القبيلة في اليمامة، وامتدت حتى شملت وادي عقيل بنجد، وقد اضطرت عبس إلى النزول بين بني ضبة بعض الوقت، في أثناء حروبها مع ذبيان، ولسكن ما قام بينهما من نزاع ألجأها إلى الرحيل. وعندما اندلعت نيران الحرب بين بني تميم وبني عامر بن صعصعة، نزل بنو ضبة أراضي بني عامر. وحينئذ اتحدت ذبيان وأسد ومعظم بطون تميم وضبة والرباب، على قتال عامر وعبس. ولكنهم منوا بالهزيمة في يوم جيلة، في حدود عام ٥٧٩ م، أي بعد مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بما يقرب من ثمانى سنوات. وفي حروب الردة، انضم كثير من بطون تميم وخاصة يربوع بن حنظلة إلى سجاح المنتهبة. أما ضبة والرباب فوقفنا على الحياد. ثم اشترك فريق من بني ضبة مع قبائل أخرى كثيرة في حروب العراق، تحت قيادة المثنى، بعد موت أبي عبيد الثقفي. ثم اشتركت في وقعة الجمل، ودافعت دفاع الأبطال عن السيدة عائشة، وفقدوا فيها ألف رجل.

ثم استقروا بالبصرة، وقاموا بدور كبير في الاضطرابات المتكررة التي قامت بهذه المدينة. فعارضوا المختار الثقفي، واشتركوا في حروب الخوارج. وعندما قام سلم بن قتيبة في البصرة عام ١٣٢ هـ يدعو للأمويين، واستولى عليها، عاونه بنو ضبة. ثم اشتركوا أيضا في حملات عباس بن عمرو الغنوى

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة « ضبة ».

على القرامطة في عام ٢٨٧ هـ ، فقتلهم القرامطة شر قتلة ومن ضبة جماعة قليلة هاجرت إلى الأندلس .

وبنو ضبة من القبائل التي اعتمدت على نفسها ، ولم تحالف غيرها من القبائل لقوتها وشجاعتها ؛ فهي من الجمرات الثلاث . ولكنها لم تعد من الجمرات بعد أن حالفت الرباب . وتنسب إلى ضبة بن أد ، أبي القبيلة عدة أقوال ، جرت مجرى الأمثال .

ولم يذكر المقرئ بنى ضبة بين قبائل العرب التي هاجرت إلى مصر . وبحث كثير في التواريخ المصرية ، فلم أجد ذكرا لها . ولكننا — برغم ذلك — نعرف واليا مصرياً من هذه القبيلة ، هو عنبة بن إسحاق بن شمر الضبي الهروي ، ولى مصر منذ عام ٢٣٨ هـ إلى ٢٤٢ هـ . ونعرف أيضاً والياً من موالى ضبة ، هو السري بن الحكم بن يوسف ، الذي ولى مصر عدة مرات في عهد المأمون . وقد دخل السري إلى مصر في أيام الرشيد من جند الليث بن الفضل^(١) الذي ولى مصر عام ١٨٣ هـ . وإذن فالمرجح أن هجرة أبي الشاعر أوجده هجرة خاصة ، لم تشمل غير أسرته ، ولذلك يتعذر معرفة زمانها ، ولعلها كانت بعد وقعة القرامطة بهم .

ويذكر ابن خلكان أمراً يلفت الأنظار ؛ إذ صرح بأن مولد الشاعر بتيس ، وأن في لسانه عجمة ، ويقال له : العاطس^(٢) . ولا ندرى أيريد بالعجمة حبسة في اللسان من آفة أو عيب لسانى ، أم عدم قدرة على إخراج الحروف العربية من مخارجها الصحيحة ، من سكنى أسرته الأهواز . فإذا كان الأمر الأول ، لم يكن هناك تعارض ، أما إذا كان الأمر الثانى فلعل ما نستطيع أن ندفع به التعارض ، أنه ورث هذه العجمة عن أبيه ، أو أخذها من حياته مع أسرته ، ودل هذا على قرب عهدهم بالهجرة إلى مصر .

وقد لمع من بنى ضبة عدة أفراد في العصور الإسلامية ، وميدانهم اللغة والأدب . نذكر منهم يونس بن حبيب الضبي بالولاء ، والمفضل الضبي ، والصنوبرى الشاعر المشهور . ولعل في هذا ما يوحى بميل هذه القبيلة إلى اللغويات والأدبيات ، وخاصة في العصور الإسلامية .

(١) خطط المقرئ ١ : ١٧٨ .

(٢) وفیات الأعيان ١ : ٢٠١ .

آل وكيع

أسرة الشاعر

لم تذكر المراجع التي اطلعت عليها عن ابن وكيع وأسرته غير قليل من الأخبار لا يغني شيئاً ، وأقل منها غناء ما يخرج به المرء من شعره الباقي . وأكثر ما وجدته في وفيات الأعيان ، وعنه نقل الباقر ، وهاك ما قاله ابن خلكان عن جده وعنه ، مع بعض إيضاحات (١) :

وكيع ، بفتح الواو وكسر الكاف ، معناها شديد متين ، ولقب بها جد شاعرنا أبو بكر محمد بن خلف . وكان وكيع فاضلاً نبيلاً فصيحاً ، من أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة ، منها كتاب الطريق ، وكتاب الشريف ، وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه ، وكتاب الرمي والنصال ، وكتاب المكايل والموازن . وله شعر كشعر العلماء . وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاث مئة ببغداد . وقد تولى قضاء الأهواز ، نائبا عن عبدان الجواليقي الذي توفي في نفس العام الذي توفي فيه وكيع ، مدة من الوقت .

وذكر ابن النديم (٢) أن وكيعا كان يكتب أولا لأبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب القاضي . ونسب له من الكتب كتاب أخبار القضاة وتاريخهم وأحكامهم ، وكتاب الأنواء (٣) ، وكتاب المسافر ، وكتاب التصرف والنقد والسكة ، وكتاب البحث . ووصف كتاب الشريف بأنه يجري مجرى كتاب المعارف لابن قتيبة ، وكتاب الطريق بأنه يحتوي على أخبار البلدان ومسالك الطرق ولم يتمه ، وكان يعرف أيضا باسم كتاب النواحي . ولكن اسم وكيع اختل في الكتاب ، فصار « أبو محمد بكر بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة » واسمه في الوفيات وغيره « أبو بكر محمد بن خلف » .

(٢) الفهرست ١١٤ .

(١) وفيات الأعيان ١ : ٢٠١ .

(٣) انظر أيضا ٨٨ .

الشاعر

أما شاعرنا فاسمه أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف . . ولم نستطع أن نصل إلى شيء عن أبيه علي ، أو جده أحمد وقال فيه الثعالبي (١) : « شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع في إبانه ، على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام . . وقال ابن خلكان : « وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب بين فيه سرقات أبي الطيب المتنبي ، سماه المنصف . . وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة بمدينة تنيس ، ودفن في المقبرة الكبرى ، في القبعة التي بنيت له بها ، رحمه الله تعالى . .

ويدل شعره على أنه كان على حظ كبير من الظرف وخفة الروح ، كما يدل إكبابه على الخمر على أنه كان على حظ من اليسار . ولكن الخمر — فيما يبدو — كانت تستنفد كثيرا من ماله ، فزراه يشكو أن الشتاء يحتاج إلى كثير من النفقات . ويجعل الإنسان يؤثر الكسل ، ويبغض العمل ، والصيف يمزق الجديد من الثياب والقديم ، أو يسرع إليها بالاتساخ .

شعر ابن وكيع

جمع شعر ابن وكيع في ديوان ، ذكره ابن خلكان من أهل القرن السابع ، ورجع إليه عبد القادر البغدادى في القرن الحادى عشر ، فى أثناء تأليفه خزائن الأدب ، نص على ذلك فى مقدمته^(١) . ولا ندرى لهذا الديوان وجودا اليوم . وقد دعانى هذا — بعد أن قرأت بعض شعر ابن وكيع فأعجبت به أيما إعجاب — إلى محاولة جمع ما بقى من هذا الشعر ، وترتيبه ، وضم بعضه إلى بعض فى كتاب واحد . فتبعته فى مظانه ، وتصفحت كثيرا من الموسوعات والكتب الأدبية العامة ، والتاريخية ، وما إليها فخرجت من هذه الجولة بما دونته فى هذا الكتاب . وهو قدر لا بأس به ، يبلغ ٨٣ قصيدة ومقطوعة ، منها الطويل الذى يشغل صفحات ، والقصير الذى لا يتعدى البيتين .

وإن قارئ هذا الديوان لا شك منته إلى النتيجة التى انتهت إليها ، وهى أن ابن وكيع فى الأدب المصرى : « شاعر الزهر والخمر » .

فهذان الفنان قد غلبا على شعره كله ، فإذا أضفت إليهما الغزل ، لم يبق إلا بعض مقطوعات قصيرة ، فى الهجاء والنصح . وإذن فشعر ابن وكيع يجرى فى ثلاثة أنهار زاخرة ، هى وصف الربيع ، والخمر ، والغزل ، وجدولين تسكاد العين لا تلتفت إليهما ، هما الهجاء والنصح .

الزَّهْرِيَّات

يشغل وصف الربيع والأزهار ٢٠ قصيدة ومقطوعة ، إلى جانب قصيدة طويلة تصف الفصول الأربعة جميعا . وتؤكد هذه القصيدة الأخيرة ما يحسه قارئ الديوان ، من غرام الشاعر بالربيع وتعلقه الشديد بما يبشئ فى السكون

من جمال ، حتى لا يرى لغيره من الفصول فضلا أو ميزة . ولقد رمى كلا منها بأسوأ الصفات ، فالصيف لعنة الله عليه : حر وعرق ووسخ وحشرات وأمراض ، والخريف معروف بكل سوء : آفات ، وعدم استقرار بين حر وبرد ، وأرض عارية من النبات ، بل هو من طبع الموت ، والشتاء غمة غماء : رياح وأمطار وبرد وعواصف وكسل وبراعيث ، فلو لقيه على صورة إنسان لقتله ، وجميع هذه الفصول الثلاثة لا يستطيع الشراب فيها ، أو لا يستسيغها ، وذلك أمر له المسكنة الأولى عند الشاعر .

أما الربيع . . فحسن الجميع ، معتدل في كل شيء ، فتنة للألباب ، بل هو الحظ الحسن يأتي ضاحكا بعد طول صددود . ومهما أسرفت في وصفه فلن توفيه حقه ، ولو شريت بطييه طيب الجنان لكنت رابحا .

وإذا أراد الدارس أن يتتبع الصور التي رسمها الشاعر للربيع في قصائده المختلفة ، وأحب أن يجمعها بعضها إلى جوار بعض ، ليؤلف منها معرضاً فنياً ، لخرج بمجموعة من الصور الرائعة : فيها الأضواء والألوان ، وفيها الحركة والرائحة ، وفيها الحياة والكمال .

فجميع نواحي الربيع مصورة بكل دقة في معرض ابن وكيع ، الصور العامة التي تعطي إحياءات الربيع كله ولا تقف عند منظر بعينه ، أو موضع بذاته ، فالدنيا عروس تعرض ما لديها من مختلف الأثواب ، والأرض عروس تتجلى بما لديها من درر ، ووالرياض عرائس تتمايل متبخرة ، والنبات الأخضر في جمال السماء ، أو هو وشى منظم ، وشى يتمتع به النظر ، ولا يجسر المرء على ابتذاله في اللبس ، وشى لا يسمو المرء إلى وصفه مهما أوتي من بلاغة ، والمطر — إن سقط — إنما هو بكاء السماء عشقا وشوقا للربيع .

والطير . . صافية الصفير ، تغرد بمهارة غناء لا تصل الأفهام إلى إدراك معانيه ، ولكن السامعين مفتونون به ، مشوقون إليه ، غناء لا يحتاج إلى آلات موسيقية كحاجة البشر . وإن هذا الغناء ليوحى للإنسان بالافراح ، أوليذكره المغنى الأموى المشهور ومعبداء ، في ألحانه التي طبقت الحافقين . وإنه ليدكر في جماله وجمال الطير التي أصدرته بألوانها المختلفة ، جماعة من الجوارى تهيأن تزينا وتجملا وتدر بالاحدى حفلات الموسيقى .

والغدير تضطرب مياهه حين تهب به الرياح أو النسائم ، وتلقى عليه الشمس أشعتها الذهبية ، فتسكبه لونها وإشراقها ولآلأها ، فيبدو كالدرع المذهب المصقول .

ونهار الربيع له جماله ، كما لليل جماله . فالنهار أغر محجل ، مسفر عن بهجته ، مهتلل الوجه مشرقه ، تضحك شمسه ، كأنها كأس من الذهب . والليل نسيمة عليل ، وبدره مشرق منير كأنه كأس البلور ، أو غرة الحسناء ، وجوزاؤه كالجارية الرومية الحسناء ، ترتدى حلة زرقاء ، وتتجلى بدرة بيضاء ، ونجومه المزهرة كاللؤلؤ المنثور فوق بساط بنفسجي .

والأشجار والنخيل كالقنا السنديسية الأطراف ، أو الجند في يوم الاستعراض ، علا بعضها الندى فبدت كقباب الزبرجد توجت باللؤلؤ المنظم والمفصل ، وأخرج بعضها ثماره فأشبه مكاحل الزمرد المقمعة بالذهب . وهذه أشجار السرو تتمايل فوق الجداول كأنها الجند يريدون أمراً من الأمور ، فشمروا عن سواعد الجد . وهذا هو طلع النخيل يبدو حين تكشف عنه ضاحكا مسرورا ، كأنما هو درج من الصندل ملء بالكافور .
أما الأزهار فقد تسلطت عليها الأنوار ، فأشعت كالنجوم أو الجواهر الفائقة الحسن التي لا يستطيع لها تقدير ، وإن كانت (الأسف) غير باقية ، ولا خالدة ! وقد حاكى أصفرها وأبيضها الشمس والقمر ، أو الدراهم والدنانير ، بهجة وإشراقا .

ويستولى على نظر الشاعر بين هذه الأزهار والثمار ، زهرة بعد أخرى ، فيرسم لكل منها منظرا خاصا به . فالنرجس الريان ، كشتور الحسان أو مخانق الكافور ، ينظر بعينين باهتتين حائرتين ، ولكنه حين يرى الورد يبتسم في خفر واستعلاء وإعجاب بنفسه ، متطاولا عليه ، قائلا : أتريد أن تكون كقفوا لي وأنت مثل الخد ، وأنا العين ، ومتى كان الخد للعين نظيراً ؟
والورد أحمر كأنما سكبت عليه الخمر ، فتركت عليه لونها ، أو كأنما هو خجل من النرجس المتطاول عليه أو مغيط منه ، وإنه لشبيه بحسناء موزحت ، فاصطبغ وجهها حمرة خجلا ، أو بحسناء راودها بعض الفتيان فأبت وقد اكتسى وجهها بهذا اللون الوردى .

والشقيق ضاحك كمداهن العقيق ، يناع الورد فضله ، أو هو في حمرة
وسواده عيون الرمد . ولعل التوفيق خان الشاعر في الصورة الأخيرة ،
لأنها منفردة .

والصعترى أرق من أرجل النمل ، وأذكي من نفحة الزعفران ، ويشبه
في جماله ونظامه سطورا كتبهن كاتب جميل الخط ظريف البنان .

والمنثور جواهر مفرقة ، مختلفة الألوان ، تتم صور الربيع ، وتهب له
ما ينقصه من أصباغ ، ولو كان طويل العمر لتمحلت به الملوك ، واتخذت
منه خواتيمها .

والأس ، الذي ينشر رائحته الطيبة الذكية مع النسائم والرياح ، يحاكي
في لونه أصداغ الطباء الخالصة البياض ، وفي شكله آذان الخيل النوافر .
والبنفسج ، كأنه فيروزج أزرق يقيه على السماء ويفاخرها في لونها الجميل ،
أو ثاكل تبكي وحيدها وقد ارتدت عليه الحداد .

والسباس ، والخاصم ، والسوسن ، والأذريون ، والبهار ، والكافور ،
من الرياحين ذوات الرائحة الجميلة ، كل منها له صورته الخاصة .

ومن الثمار : الباقلاء ينوزهره بطرف أعيد أحل ، أو هو الحافظ ظباء
خائفة ، أو عيون حور ، أو خواتم من فضة فصوصها سوداء حبشية ، أو دراهم
مضمخة بالمسك ، أو مداهن فضة بها آثار من المسك ، أو سوائف جوار
حسان بيض .

والشمش على الغصون المتمايلة كقباب مغطاة بالرياحين الخضراء المزينة
بجلجل من الذهب ، أو هو — وقد أضاء شهابه — جلجل التبر
في قباب الزبرجد .

والثانج كرات من العقيق ، أو دنانير .

والجلنار منه المزعفر والمعصفر ، يتوقد على الغصون المديد ، كأنه فصوص
عقيق في قبة من الزبرجد .

والآترنج كئوس من الذهب ذات مقابض من الحرير الأخضر ، والآترج
يرتدى الغلائل الخفيفة .

والخشخاش جسم من الدر يرتدى قميصا من الزبرجد ، أو قدح من الزبرجد مغشى بالحرير الأخضر ، أو كرات ظوهرت بالكيمخت .
والزيتون يشفى الأرواح ، أخضره زبرجد ، وأسوده سبيج ، أو هو العيون الشهل الدعج .

وآخر ما يلفت نظره زهر الكستان يتمايل فى الضحى على أشجاره المبد ، كأنه مداهن التبر فى الزبرجد . وتلك هى الصورة الطبيعية الأخيرة فى معرض الربيع لابن وكيع ، ولكنها تؤدى إلى صورة أخرى يختلط فيها الربيع بأمر آخر ، هى صورة الشراب ، أو الخمر . فالربيع عند شاعرنا دعوة إلى الخمر ، ولا يكاد يتصوره أو يصوره فى شعره ، حتى يدعو أصحابه إلى النهوض إلى اللذة واللهو ، فلن يعنفهم أحد ما دام الربيع . واللذة واللهو والسرور لا توجد إلا فى موضع واحد :

فانهض بنا نحو السرور فإنه ما زال يسكن حانة الخمار
وإن الباحث يستطيع أن يقول إن ابن وكيع مرهف الحس بمواطن الجمال الطبيعى فى الربيع ، دقيق الملاحظة ، يستهويه المنظر العام فيرسمه ، ويسترعى أنظاره دقائقه وتفصيله ، فيفرد كلا منها بصورة خاصة . فتجتمع من هذه الصور العامة والخاصة معرض كامل للربيع ، لا يكاد ينقصه شيء . وهو تصوير حى بالألوان يكاد الإنسان يعيش فيه . ولعل قارئ القصيدة رقم ٦٦ ، يحس ذلك الإحساس كله ، إذ لا يكاد يأخذ فى قراءتها ، حتى يشعر كأنما دخل روضة ناضرة ، يشم فيها الروائح الطيبة المختلفة ، وتبهر أبصاره الألوان المتعددة ، وتترامى أمامه الأضواء والظلال ، وتمايل الغصون والأزهار . فلا عجب أن كان ابن وكيع :

« شاعر الزهر »

ويلاحظ الباحث أن بعض الصور والأفكار تستولى على ابن وكيع فيكررها ، ولا يستطيع منها فككا . فالثرى يذيع أسرار المطر أو الربيع بإظهار الأزهار ، والدنيا أو الرياض عروس متبخرة ، تلبس وشيا تختلف ألوانه ،

والأزهار سريعة الذبول ، والغصون ميد . ويلاحظ أن الصور التي تثيرها رؤية الأزهار في مخيلته تتكرر أحيانا ، وتنتزع من مورد واحد ، مثل منظر الجنود في يوم العرض ، والمداهن ، والزمرد ، والعسجد ، والبرجد ، والقباب ، والأكر ، والكتوس . ولولا اتساع المناظر وكثرة الصور لانهم ابن وكيع بضيق الخيال .

يضاف إلى ذلك أن ابن وكيع يلتقي في كثير من صورهِ بابن المعتز ، حتى عده بعض الباحثين من أتباعه أو مدرسته ، ويخيل إلى أن هذه الصور خاصة ووصف الزهريات عامة غلب في أواخر القرن الثالث والرابع على الشعير العربي كله ، وفي جميع موطنه .

وتتجلى براعة ابن وكيع في الوصف ، فيما لا يتصل بالربيع أيضا . فلقد وصف الصباح في عدة مقطوعات وصفا دقيقا ، لا يقل في جماله عن أوصاف الربيع ، وندعه الآن إلى الكلام عن الصبوح عنده . ووصف المطر في بيتين ، والفحم المشتعل في آخرين ، يظهر فيها جميعا روح ابن وكيع ، وميله إلى الإكثار من التشبيهات . فالمطر المنهمر ، الذي أشعل الرعد بروقه ، يحاكي دموع الحب التي تزيد قلبه حرقا والتماعا . والفحم الأسود كالآبنوس أصبح حين اشتعل كأنما كسى بالذهب ، أو كأنه جارية كانت تلبس الحداد ، نخلعته وارتدت مصبغات العرائس . فابن وكيع من الشعراء الذين لا تكاد أعينهم تقع على منظر ما حتى يثير في مخيلتهم مناظر أخرى كثيرة ، ثم يسجلون هذه المناظر جميعاً الحقيق منها والخيالي أو المتوهم .

الخزريات

يشغل وصف الخمر قريبا من ١٩ قصيدة وقطعة ، إلى جانب بعض الإشارات في قصائد أخرى . وابن وكيع مولع بالخمر ، يذكرها في كل وقت ، ويغيظه ألا يستطيع شربها في بعض الأوقات ، فيأخذ على الصيف مثلا أن الشراب فيه يورث الصداع ، وعلى الشتاء أن الإنسان لا يشرب الخمر فيه للذة ، بل للدفع ، وهو يريد اللذة وحدها ، ويصر حين يدعى على وجودها .

وذكر الشاعر الخمر بأسماء عدة ، كالسلافة والشمول والكميت والراح
والمدام والقهوة ، وردد الأخير منها أكثر من مرة . وذكر اسماً آخر عني
به أبو نواس من قبل ، هو الحرام :

فقم فاسقني ما حرموه فما أرى من العيش حلوا غير ما قيل : حرما
وقد أولع الشاعر بهذا الاسم ولعا شديدا ، وتلاعب به ، فمرة يطلب من
الساق أن يسقيه المحرم نصا وإجماعا ، ويتجاوز عن المختلف فيه كالنبيذ ، ومرة
يطلب منه أن يسقيه الحرام الذي يعد الصبر عنه حراما ، وما شاكل ذلك .
وعنى التنيسى بكثير من أوصاف الخمر ، فرددها في المواضع الكثيرة من
خمرياته ، وكان من هذه الأوصاف العام الذي يصف الإيحاء الذي تبثه الخمر
في نفسه ، والخاص الذي يعالج ناحية ما من نواحيها . ومن الأوصاف العامة
التي خلعتها عليها أنها تجل عن الوصف ، وتجمع جميع الأوطار ، ولم تبق شيئا
لغيرها ، وأنها تحي الأرواح .

أما الصفات الخاصة فعنى فيها بلون الخمر أكبر عناية . فالخمرام منها ذوب
من العقيق ، أو كميت مسبوكة الثبر ، والصفراء منها مزعفرة القميص ،
أو نضار ، أو عسجد رقيق صاف ، أو ذوب من الذهب الإبريز . وحين
تمزج بالماء تخلع قميص الشقيق الذي ترتديه وتلبس آخر من بهار ، أو تصير
كميتا ذا جام من الفضة . والألون لها أهميتها البالغة عنده ، فما يكرهه في الشتاء
أنه يضطر إلى سد جميع المنافذ وإرخاء الستور والعيش في الظلام ، فإذا
ما أراد الشراب ، لم يتمتع برؤية لونه ، فنقصت لذته .

ويتصل بالألون عنايته بضياء الخمر ، وما ترسله من أشعة ، هي نار بلاهب
تضيء الظلام ، وتحكي القنديل في الليل أو الضرام المشتعل لا أذى له حين تقع
عليها الأبصار تنثنى من ضيائها .

ووجه أكبر عناية أيضا إلى الحرب بينها وبين الهموم ، فهي ذات ثأر
عندها دائمة الطلب له ، ولا ترعى للأسى ذماما ولا حرمة ، وإنما تقتله بسهامها .
والهموم إذا رأتها وقفت لها تجلدة واحتراما ، فلا يجديها ذلك نفعا ، فتهرب
باحثة عن ملجأ يعصمها ، وليس من حصن حصين يستطيع ذلك . ولذلك

ترى كل صدر ضيق يرحب معها ، وكل شارب لها يرضى عن الأقدار ، وقد كان ساخطا عليها في صحوه . فهي إذا ما استقرت في أحشاء شاربها لم يستقر به مكان ، وإذا مست حجرا أصابته خفة ، وأحكامها كأحكام الدهر في الأحرار .

ثم عني أيضا بوصفها بالعق و قدم العهد ، وخفة الحركة في جسم الإنسان كأنها القدر ، وبالصفاء والرقه كأنها شعر جميل بشيئة أو عمر بن أبي ربيعة ، وبالحلاوة كأنها كبت العدو ورغم أنف العذول ، أو فراق العدو ، أو لقاء الصديق ، حتى لا يروى منها شاربها ، أو كأنها عروس في حلال متوجة . أو عروس كرم تختال في حلال صفر . وأخيرا أشار إلى طيب رائحتها ، وإلى جودتها إذ هي مجلوبة من قطربل أو البردان . وقد اطردت عنايته بهذه الأوصاف بحسب ترتيبها السابق ، فأخذت في القلة حتى اقتصرت على الإشارة الواحدة .

وكان لمزج الخمر بالماء سحر خاص في روح الشاعر ، فأكثر من وصفه وتناوله ، فالخمر تصفر خوف المزج ، ويغضبها الماء حين يخالطها فتزبد ، وكأنما الماء طوقها بعقد من الدر ، أو كأنه وضع على رأسها إكليلا ، وإنما لتحكى مع حباها الذى علاها كواكب الدر في سماء العقيق ، أو كميته ذا لجام من فضة .

وشاعرنا تشتد رغبته في الشراب صباحا ، فأكثر أوصافه للصباح ، ولا ذكر للغبوق في شعره . وقد جعله هذا يفتن في وصف الصباح ، ويرسم له عدة مناظر . فهذه عساكر الليل تولى الأدبار أمام جيش الصباح ، والفجر يسخر من انهزام الليل ، وهذا هو الفجر يشبه وقد أحاط به الظلام ملك الروم بين أبناء حام . وهذا هو الصباح يبدو مرتديا ما بلى من أثواب الليل ، أو يتعرى من قميص الغلس المظلم ، ويرتدى حلة فضية لا زالت بها آثار من سواد الليل ، أو يسل سيفه من غمد الدجى ، ويطارد الجوزاء كالهلال ، أو كصولجان الملك يدنو من كرة ذهبية . وهذه هى الجوزاء فى الأفق تحاكي منطقة من الذهب تعلو قباء أزرق . وهذه الطيور تملأ الدنيا تغريدا .

ويطيب له الشراب أيضا حين يأتي الربيع ، ويتسمم الورد ، ويمر النسيم على الخليج ، فتضطرب مياهه ويهتز النبات والزرع متبايلا متبخترا ، أو حين يتسمم الغمام ، ويلبس الجو حلة مسكية اللون تطرزها البروق بالذهب .

ولا يمتنع عن الشراب في الظلام ، فقد رسم في بيتين (رقم ٢٩) لوحة رائعة ، لشارب في الظلام ، وفق في استعمال الظلال والأضواء والألوان فيها كل توفيق . فالمنظر كله ظلال سوداء ، يخترقها شعاعان من الضوء صادران من ثغر الشارب وحباب الخمر ، وشعاعان آخران أحمران من شفقي الحبيب وضياء الخمر .

ولم يعن الشاعر بأما كن شربه كما عنى بأوقاته ، فلم يذكرها إلا مرتين ، وطلب أن تكون روضة عنبرية ، أو تحت ظلال الكرم على وجه المعشوق . ولم تفته العناية بالكئوس ، فهي رقيقة صافية شفافة ، تكاد تطير من أنفاس حاملها ، في صورة البدور ، أو كأنها وقد ملئت بالخمر عين الديك ، وإن النظر ليرتاح إليها . وتبدو أهمية الكئوس عنده ، في إجابته دعوة أحد أصدقائه ، إذ أوصاه بها ، وأطال له في وصف ما يحبه فيها (رقم ٦٨) .

ولا شك أن اللذة تتم حين يكون إلى جانب الخمر النقل « المزنة » ، وهي — في المرة الوحيدة التي ذكرها الشاعر — خروف مشوى ، وبصل مدور كأن قشره الرقيق غلائل تلبسها جوار بيض حسان رطاب من بنات الروم .

وعنى ابن وكيع عناية كبيرة بمجالس الشرب ، فوصف حاضريها ورسم صوراً عدة لكل فريق منهم . وأول من عنى به الساقى ، وقد خلع عليه كل صفات الجمال . فهو جامع الحسن ، وكل حسن مستعار منه ، يسبي العقول ، وتهزم جيوش حسنه الصبر . إنه ذو جمال يحل عن الوصف ، فهو ليس بالبشر .

وهو ظبي ، وشادن ، وجؤذر ، وقر منير ، بل أفضل لأنه عاقل ناطق ، وغصن بان بل فضل الغصون ، لأنها من غرسنا وهو من غرس الباري . وهو أغيد ، غرير ، يحج إليه الدهر كله ، ويحلو في حبه التصابي ، ويثقل الملام ، ولا يحسن الوقار ، ويغار عليه من نفسه .

وأمر آخر له أهميته ، رددته الشاعر كثيرا ، وهو أن هذا الساقى نصراني
يلبس الزنار ، ويشكك في الدين ، لأنه من الحور ، ومن ذوى الجمال الذى لا يعقل
أن يفسده الله بإدخاله النار .
تلك هى أوصافه العامة .

أما أوصافه الجسدية ، فهو ربعة بين الطول والقصر ، صدغه أبيض مشرب
بحمرة كالأس أشعلت حوله النار ، وعينه حوراء ، وألحظه سقيمة ترى سهامها ،
كأنها قوس القدر لا تخطئ الهدف أبدا ، وخصره دقيق لا يبين معه الزنار ،
فكأنه لا يلمسه ، أو لولا هذا الزنار الذى يمسك خصره لانقصف ، وسرته
محشوة بالغالية .

وجملة القول فى هذا الساقى أنه جمع كل حسن ، فمن يفضل المرأة عليه
لا يفهم فى الجمال شيئا ، بل هو حمار .

وقد شذ ابن وكيع ذات مرة (رقم ٦٠) ، فجعل الساقى جارية لا غلاما ،
ولكنه لم يعن بها كثيرا ، واكتفى بوصفها بجمال العينين ودقة الخصر .

ووصف الشاعر أيضا ندماءه على الشرب ، ونعتهم بأنهم كرام وخير من
يصحبه السكرام ، أطاعوا اللهو ، عليمون بالآثام ، مفضلون للغلمان على النساء
تظرفا . لا يروى جالسهم من حديثهم ، وإن كان غيرهم يكثر الضجة ويطيل
الحديث المملول حين تستولى عليه الخمر . أما هو ، فيأمام الشاربين ، فى
هذا المجلس .

وأخيرا لا يتم مجلس الخمر إلا بالغناء ، ومغنيهم فطن مطرب ، يستخف
الحلماء ، لا يخرج على الأصول الموسيقية ، ولا يتنافر مع الزامر أبدا . وقد
يستعينون بمغنية بدلا من المغنى ، ومغنيتهم حاذقة بألوان الغناء المختلفة ، لا تكاد
تأخذ فى العزف حتى ينسى السامعون همومهم .

ذلك هو العيش فى نظر الشاعر ، وإنه لمنظر أشهى من الجنة ، فلا تبع
العاجلة بالآجلة ، فالعيش خلص . وعنده أن :

أسنى الأمانى كلها وأجل منها ما ينال
كأس ومسمعة وإخوان تحادثهم ومال

فدع التزمت والتجمل لغيرك ، فالعيش لا يطيب للمتزمتين . ولا تقبل
من الرشيد نصحه ولا عدله ، واقبل ما يرسمه لك أخو الغواية ، ولا يشغلنك
عن اللهو الأباطيل . فاللوم لا يغنيك شيئا ، وعام السرور يوم ، ويوم الهموم
عام ، والعقل مكدر للعيش ، والجهل ينبوع المسرة ، وما فاز باللذة إلا الجسور .
ولا تقنط فحفو الله مأمول .

تلك هي خمريات ابن وكيع : مناظر دقيقة كاملة ، تصور الخمر في أحوالها
المختلفة ، وترسم مجالسها رسماً دقيقاً ناطقاً . فالشاعر فيها كما في الزهريات ،
مصور مرهف الحس دقيق الملاحظة ، لا يكاد يفوته شيء . وهو فوق ذلك كله
محب لتسجيل كل ما يقع تحت بصره ، قادر على منح ما يرسمه الأضواء
والظلال والحركة والألوان ، منحه الحياة .

وقد يعجب الباحث بكل هذه المناظر ، ويعجب بروح الشاعر التي تتجلى
فيها جميعها . ولكنه إلى جانب ذلك يلاحظ أن الشاعر اقتصر على الوصف
الظاهري ، ولم يستبطن نفسه ، ولا أنفوس غيره من الشاربين ، ولا وصف
مشاعره في أثناء مجالس الشراب ، ولا مشاعر أصدقائه وندمائه ، فالناحية
النفسية مغلفة أمامه . ويلاحظ أيضا أن الشاعر يستعير بعض أفكاره وصوره
من غيره ، وخاصة من أبي نواس ، شاعر الخمر في الأدب العربي على الإطلاق ،
حتى إنه ليتأثره في ثورته على الوقوف على الأطلال ، والبكاء على آثارها ،
ووصف الصحارى والفيافي . ولكن هذا كله لا يسلب الشاعر حقه في أن
يكون في الشعر المصري :

« شاعر الخمر ،

الغزل

يشغل الغزل قريبا من ٣٠ قصيدة ومقطوعة غير ما ورد في الخربات من التغزل بالسقاة . وقد غالب على غزل ابن وكيع ما غالب على غزل غيره من شعراء عصره ، أعنى الغزل بالمذكر . ولكن شاعرنا يمتاز عن كثير منهم بأن الغلام الذى يتغزل فيه نصرانى ، ولذلك يستمد الشاعر من هذه الحقيقة كثيرا من الأفكار . ويبين ذلك بأجلى وضوح فى مربعة الطويلة (١٧) التى أعجب بها القدماء أيماء إعجاب ، وإننا لا نقل عنهم اليوم إعجابا بها . فقد بين فيها — بعد أن وصف حاله وحال محبوبه — أن هذا الحبيب يريد قتله ، ثم حاجه فى عدم إباحة القتل فى الأديان المختلفة ، وخاصة المسيحية . وشرح له أنه لم يرد مثل هذه الإباحة عن نبي النصرانية ، ولم ينقلها أحد من تلاميذه الأربعة أصحاب الأناجيل ، ولا وردت فى العهد القديم ولا الزبور ، ثم ذهب يشكوه إلى رجال الدين المسيحي ، مبتدئا بالأقل منهم مرتبة حتى أعلاهم . وهى قصيدة تكشف عما تحلى به شاعرنا من خفة روح ، تجعل قارئها يحكم بأنها لشاعر مصرى ، ولو لم يكن يعرف أنها لابن وكيع .

ولا يختلف غزل ابن وكيع عن غزل غيره فى معالمة الكبرى ، وإنما قد يختلف فى بعض التفاصيل . وقد عالج فى غزله وصف حبيبته وصفا عاما ، ثم وصفا خاصا : جسديا وخلقيا ، ورسم صوراً لبعض المواقف الخاصة بينهما ، وحاله فى الحب ، وما يلاقيه من العذاب وموقفه منهم . وأطلق فى تضاعيف هذه الصور كثيرا من الأبيات التى تحمل أقوالا سائرة ، يصلح كثير منها لأن يكون أمثالا ترددها الألسنة .

أما الأوصاف العامة التى وهبها لمن تغزل فيه : فإنه غزال كحيل جامع لسكل حسن ، وكل حسن مخنصر منه ، وأنه لا قرين له ، بل جوهرى الأوصاف ، لا يحده الشعر ، وأن أحدا لا يستطيع أن يعذله على حبه ، لأن كل الآراء مجمعة على جماله ، وكل القلوب تهفو لحبه ، فأبليس مستبشر به ، لأنه عارف أنه يتمكن عن طريقه من إغواء البشر . وصفة أخرى أبرزها ابن وكيع ، ولها دلالتها عليه ، تلك هى خفة الروح :

بخفة الروح احتوى صلاحى فصرت لا أرغب فى الفلاح
والشكل والخفة فى الأرواح أملح ما يعشق فى الملاح
من كان يعشق منظرأ بلا خبر فما له أوفق من عشق القمر
فهو فى هذه الصفة ابن بيته : مصر .

وعنى فى أوصافه الجسدية باعتدال القائمة التى تنشق لها القلوب ، ودقة
الخصر ، وامتلاء الأرداف ، فهو أهيف مجدول ، تميل إليه القلوب الذكية ، على
حين يميل الحق إلى الضخام السمان . ثم عنى بوجهه وما حوى ، فهو حسن
الوجه كشعره فيه ، يطيب فيه ارتكاب الذنوب ، وهو قرأو بدر يؤنس حين
يزوره ليلا ، فتغفر له محاسنه ما ارتكبه فى حق عاشقه من ذنوب ، حتى إنه
ليطرب له وهو قائله . وطرفه كحيل سقيم أسقم الشاعر ، أحور حيره ، صارم
المقلة ، قاتل الألاحظ . وخده رقيق أسيل مضىء تستخلفه الشمس ليلا حين
تغيب . ووجنتاه جمر يحرق الحب ولا ينال المحبوب بأذى . وفه عقيق أحمر ،
وثناياه أو لؤ ، وريقه خمر ، أروى ما يكون منها الإنسان أعطش ما يكون ،
وكما ازداد منها شربا ازداد عطشا . وعذاره يعتذر عنه فى حبه . وشاربه
لا يزال أخضر على وشك الظهور كأنه من زبرجد .

وأما صفاته الخلقية فأهمها حلاوة الحديث ، تلتقاء القلوب تلقى المخمور
بردالنسيم ، وكأنه عودة الصحة إلى من يئس منها ؛ والإسراف والجور ، حتى
جار على نفسه وأسرف على الإسراف ذاته ؛ والبخل وضعف العهد وكذب
الوعد . وابن وكيع محب لذلك ، لأنه يحب الحبيب البخل ، فالبخل يحمل
بالملاح وإن كره من غيرهم ؛ وراض بوعوده الكاذبة ، لأن القليل الذى يناله
منه غير قليل ؛ وباق على وده برغم فراقه ؛ راج وصله كما ترجو الأرض الممحلة
المطر ؛ وإن عتب عليه الهجر أحيانا .

ورسم ابن وكيع صورا لبعض المواقف التى مرت بينه وبين حبيبته ، نجد
فيها الخفة ، واللفظ ، والظرف ، والجمال ؛ فهى أقرب ما يكون إلى ما يسمى
بالاسكتشات فى عالم الرسم ، فهى تخطيطات بقلم الرصاص أو الفحم .

أن الصبر لا يحمل عنه ، فكان قسمه بوجه الحبيب يبدى صفحة السيف الصقيل ، وشعره الأسود على خده الأسيل ، وعيون القاتلة .

ووصف الشاعر نفسه وما تقلب عليه من أحوال بإزاء هذا الحبيب . فبين أن عينه هي التي أوقعت فؤاده في الهوى ، وأنه كان مسوقاً إلى الهوى لا مختاراً فيه ، لأن الهوى قدر مكتوب ، وصاحبه في ظلام حالك لا يدري معه طريقاً . وقد هجر جميع من يعرفهم سواه برغم أنه لا ينال منه شيئاً ، إذ أن نفسه تطرب لرؤيته ولقربه . ولكن ذلك كله لم يحده نفعاً ، فلا زال حبيبه ماضياً على بخله ، مستغنيا عنه ، وهو لا يستطيع الاستغناء عنه . ولذلك تراه أكمل الناس حزناً ، ذا شوق مفرط ، وصبر عليل ، وعزم هالك ، دائم السهاد ، كأنما علقت عيناه بالنجوم ، يضحك للأعداء وضميره يبكي ، وقد أهزله كل ذلك حتى صار غير مرئى ، فلو أنه الموت يطلبه ما استطاع لرؤيته سيلاً .

وهو برغم ذلك كله يحب هذا العذاب ، ويطلب من الحبيب أن يزيد منه إن كان يجد فيه راحة ، بل يبلغه أنه لو عرف أنه يجب سفك دمه لفعل ؛ ولا يرى في كل ذلك عارا ، فليست ذلة الحب بعار . ولكنه يستعطفه أحياناً أن يجود عليه بالوصل ، ويشور أحياناً على ذلة التشكى ويأبأها . ومهما كانت حاله ، فإنه — على خوفه منه القتل — لن يتوب عنه ، لأنه يرى الجنون فيه أحلى من الخمر .

أما العذاب فيضلمونه ، ويزعمون أن الصبر عن الحبيب صواب ، وأن طريق الصواب غير مجدد نفعاً ، ولذلك يهزأ بهم ، ويرى أن العقلاء يهرمون بهم ، ويكذبهم أحياناً ، فيعدهم ترك الهوى ، ثم لا يلبث أن يلتبس منهم عدم تصديقه ، وقد يلجئون أخيراً إلى إخافته من نار جهنم ، فيعترف لهم أنه يخافها فعلاً مثلهم ، ولكنه ذو أمل في مغفرة الله عريض ، وأنه مقر بذنوبه ، وحرام تعذيب المقر . ويصر على تجنب العفة وخلع العذار ، والاشتهار باللهو والغى ، فالعيش تهتك الاستار ، والعيش ركوب العار . فإن تنسك برهة عاد ثانية إلى غيه .

وأما أقواله السائرة فكان يأتي بها في تضاعيف غزله لتؤيد أقواله وتدعمها ، وتعطيها أضواء وظلالا حية ، ولكنها صالحة أن تكون أمثالا ، ومنها ما هو أمثال قديمة فعلا ، مثل قوله : وإنما عن لما عز مطلبه ، وشاهد عقل الفقي اختياره . وكل هذه الأقوال غزلية غرامية بالطبع ، وإن أفادت في غير ذلك ، وما هو ذا يقول : إنما يحمل البخل بالملاح ، وقد تمتع الآمال وهي كواذب ، و :

كم قاطع للوصل يؤمن وده ومواصل بوداده يرتاب
وجملة القول في غزل ابن وكيع : أنه صور للمحبوب وللمحب ، ولما يقع بينهما من مواقف ، وللعذال وما يحدث بينهما وبين المحبين ، صوراً لا تختلف كثيراً عما تجده عند غيره من الشعراء . وأكثر ما تمتاز به الخفة والظرف واللفظ التي تجرى فيها ، وتلك المواقف المرححة التي يرسم لها الشاعر الصور الخاطفة . وتنفرد بالأسلوب الشعري الذي يصوغها فيه ، ويظهر فيه التلاعب الفكري واللفظي .

ولكن الصور التي رسمها ابن وكيع لا تمثل إلا الأحوال الخارجية أو الظاهرة من الحب ، أما التعمق في المشاعر والانفعالات فنفتقده عنده ، كما افتقدناه في الخمریات . بل إننا نفتقد كثيراً من أوصاف الحبيب الخلقية ، على الرغم من تعرض الشاعر لهذه الناحية . وقد لا أتهم بالغلو إذا قلت إن الأوصاف الجسدية ينقصها كثير من النواحي أيضاً ، إذ لم يعن فيها إلا بالوجه وما فيه والقامة . فالصورة بعد ذلك باهتة مبتورة .

الهجاء

يشغل الهجاء من شعر ابن وكيع ٨ مقطوعات : هجا في اثنتين منها نحوياً متشاعراً (٣٧،٧) ، وفي آخرين لثيماً تماماً مرة (٣٠) ولثيماً بخيلاً أخرى (٨٠) ، وفي واحدة أحد الثقلاء ، وفي أخرى محدث نعمة ، وفي ثالثة ديوثاً ، وفي رابعة منافقين . فهجاؤه كله شخصي ، وليس فيه إقذاع ولا فحش سوى المقطوعة التي اتهم فيها المهجو بعدم الغيرة .

وكل هذه المقطوعات قصير، لا يتعدى البيتين أو الثلاثة، غير ما قاله في محدث
النعمة وعديم الغيرة . ولا تمتاز هذه القطع القصيرة بشيء غير أننا نجد
في تصويره للثيم البخيل النمام ما وجدناه في الفنون السابقة من ميل الشاعر
إلى التشبيه ، وفي هجاء الثقيل شيئاً من خفة الروح .

أما المقطوعتان الطويلتان بعض الشيء ، فأولاهما في ستة أبيات ، وهي
التي وصف فيها محدث النعمة . وقد رماه بزهو الملوك ، ولؤم التجار ، وسكر
الغنى ، والبخل ، والبرود ، وصفاقة الوجه ، وطلب منه الرجوع إلى الفقر ،
فقد أفسدته الثروة . ورسم له هذه الصورة البغيضة . وألفها من مناظر جزئية،
فيها كثير من الدلالات على روح المؤلف . فيها هو ذا يتخذ من الخمر صورة
الخمرور السادر في غيه ، وها هو ذا يلبسه قناع عار ، مما يذكر بأستار العار التي
هتكها واشتهر بها في شربه الخمر ، وها هو ذا أيضاً يرسم الصور ليرمز إلى
ما يريد أن يرميه به من نعوت سيئة ، مثل الصفاقة .

والثانية في سبعة أبيات ، واختط فيها طريقاً جديدة عليه في الهجاء .
فلم يتهم المهجو فيها بشيء ، اللهم إلا السكر المفرط . فأخذ يرسم صورة نزوله
عند هذا « السيد » ، وقضائه الليل عنده ، وما أغدقه عليه من كرم تبين أنه
يغدقه على جميع ضيوفه ، فهي قصة مصورة للسكرم ، ولكنها تؤدي إلى هجاء
لاذع ، إذ تظهر الرجل في صورة من لا يغار على زوجته . ولولا لفظان
أو ثلاث في المقطوعة، لكانت خالية من كل فحش في التعبير ، وإن حوت كل
فحش في الفكرة .

النصائح

تشغل نصائح ابن وكيع وحكمه ست مقطوعات ، غير ما بثه منها في الغزل
وأشرت إليه . ويبدو أن إحدى هذه المقطوعات (٤٥) تتصل بالغزل والخمر
فعلاً ، إذ توصي بعدم طاعة نصيح الرشيد ، والقبول من الغوى ، وترك الزهد
فالعيش لا يطيب به . وهي في بيتين يعتبران رواية أخرى لبيتين في افتتاح
قصيدة طويلة في الخمر والغزل .

وتتصل إحداها بالزهد أيضا (٧٨) ، فينصح به بعد أن ينال المرء أمانه ، أما وهو غير حاصل عليها فزهده شبيه بعفة العنين ، الذى يمتنع عن النساء بحرا لا ورعا .

وثالثة يخيل إلى أنها ذات صلة بالهجاء (٦) ، أو بالأحرى بالمقطوعتين اللتين هجا فيهما النحوى الذى يتظاهر بإحسان الشعر ، إذ يحكم فيها بأن الإنسان يستطيع أن يثشر كراهيته بين الناس ، وذلك بأن يعبس فى وجوههم ، ويعرب كلامه . فلعل هذه القطعة بقية قطعة فى هجاء هذا النحوى .

ورابعة بعدم حسد من تزايدت نعمته ، إذ أنه من سقوط النفس والهمة . وخامسة بعدم مجالسة الأرياء ومن لا يزين ، لأنهم كالشوب المصبوغ تنتقل صبغته إلى الجسد . والآخرى بالسفر والتماس الغنى ، إذ فى ذلك خمس فوائد . وخلاصة القول فى هذه الحكم والنصائح أنها إخوانية شخصية ، لا أهمية خاصة لها ، ولا ميزة للشاعر فيها .

فنه الشعري

يضم شعر ابن وكيع مقطوعات لا تتجاوز البيتين ، ويضم قصائد تتجاوز مئة بيت ، وأخرى متوسطة بين خمسة عشرة وأربعين بيتا . ويدل هذا على أن الشاعر طويل النفس ، يستطيع أن يأق بالقصيدة الطويلة ، التى لا يفقدها الطول شيئا من قوتها ولا جودتها ، استطاعته الإتيان بالقصيدة المتوسطة أو القصيرة .

ويغلب على شعره جميعه الموسيقى العذبة الحلوة . فهو شعر هادى ، لم يعرف ثورة السخط أو العنف ، ولا مرارة الحرمان . حقا تتفاوت أوزانه بين طول جزل يوحى بالقوة ، وقصر راقص يوحى بالمرح . ولكن هذا التفاوت لا يخرج بالموسيقى من العذوبة إلى القوة المتدفقة الهادرة . وساعد على ذلك أن ألفاظه جميعا سهلة عذبة ، وعباراته تسير على النهج الطبيعى اليسير . وربما نرجع ذلك إلى الموضوعات التى عالجها من وصف للربيع والخمر ، وغزل لا نرى فيه

حرماناً لا ذعاً أو عاطفة ساخطة يائسة ؛ وربما نرجعه إلى الطبيعة المصرية
الوادعة الهادئة في ابن وكيع . وهذه الطبيعة المصرية هي التي أعطته بعض
الأنفاظ المستعملة في مصر وحدها أو أكثر من غيرها ، مثل النخل الطارح ،
والبلح المقمع ، وتندس وتستحلي الكسل ، وغيرها . وتحرر ابن وكيع من
بعض النظم التقليدية ، فنظم مزدوجة ومربعة ، مما نوع الانغام الموسيقية عنده .
ويصطبغ تعبيره بالميل إلى التصوير والقصص . فهو لا يقتصر على إرسال
الأحكام أو تقريرها في صورة مباشرة ، بل كثيراً ما يتبعها بتشبيه أو تشبيهات
تعتمد عليها ، فتهب لها قوة وحياة . فهو من شعراء التشبيه ، تجده منبثاً في جميع
أرجاء شعره ، لا يكاد ينفصل بعضه عن بعض . وكثيراً ما يلجأ في التعبير عن
أفكاره إلى الإتيان بها في صورة قصة ، كما نرى في مربعة الغزلية ، وأرجوزته
في الفصول ، وكثير من زهرياتة وغزلياته . فهو ذو خيال حاضر ، بل وهم سريع
الابتكار ، ما يكاد يرى منظرأ حتى يربطه بآخر قريب منه . ربما تتكرر بعض
الصور عنده ، ولكنه تكرر لا بد منه ، لأنها صور ملكت عليه لبه ،
واستولت على حواسه .

ولعل هذا الوهم هو الذي دفعه إلى أنواع من المشاكلة نراها في غزله ،
يربط فيها بين أمور متباعدة لا اشتراكها في بعض الصفات . فيطلب إلى وصل
الحبيب أن يصله بالقدر الذي يصله به صده ، وإلى خصره أن يكون في ضعف
عهده ؛ أو يربط بين صبره وخصر الحبيب لضعفهما ، وشعره ووجه الحبيب
لحسنهما ، أو جسمه وطرف ذلك المحبوب في السقم ، أو يقول :

ظبي سلوى عنه مثل جوده خياله أكذب من موعوده
أجفانه أسقم من عهوده أردافه أثقل من صدوده
وما شابه ذلك ، مما أكسب شعره عذوبة في الموسيقى والصور .

وينتشر في شعر ابن وكيع الطباق والمقابلة انتشاراً واسع النطاق ، حتى
إنني أستطيع أن أقول إنني لم أفتقده إلا في قليل من المقطوعات الباقية من
شعره . وعلى الرغم من هذا الانتشار ، يمر به القارئ دون أن يشعر به
شعوراً خاصاً ، أو دون أن يحس أن في هذا الموضع شيئاً من التعمد

أو التكلف لأمر من الأمور . فالطبايق عنده يهب للشعر ألوانه وأصباغه خفية
دون ظهور سافر قد يصدم العين . ولعل السبب في ذلك أنه لا يأتي به تقابلا
جليا في لفظين مفردين ، بل يبتث في البيت كله في كثير من الأحيان ، يقول :
أناس إذا غابوا رمتك سهامهم وخصك منهم في الحضور التملق
ويقول في الربيع :

واني على أثر الشتاء كأنه إقبال جد بعد أمر مدبر
فكأن ذلك كان وجه مهدد وكأن هذا جاء وجه مبشر
ويبدو أن هذا الميل للطبايق والمقابلة كان العامل الذي جعله يميل إلى المواقف
الحرجة المتناقضة ، وإلى الأوقات التي تجتمع فيها أمور متباينة متنازعة . فتراه
يعنى بموقف العذول الذي يهت حين يرى جمال الحبيب فيرجع عن عذله ،
أو يأمر بحبه ولا يدرى أنه الحبيب فعلا ، ويعنى بمحدث النعمة ، ويقابل بين
ماضيه المعدم وحاضره الثرى ؛ ويلتفت إلى الحبيب الذي أصابه المرض فازداد
جمالا ، أو حين زاره في ظلام الليل ، فإذا بالظلام يخشع لسناءه وينقلب ضياء ؛
وإلى مواقف النزال بين الخير والهموم . واستولى التقابل والتناظر وصور النزاع
المتجلية في الفجر بين النور والظلام على جميع مشاعره ، فأكثر من وصفها ،
وأحب أن يحضرها في نشوته ولذته .

وتناثرت في أشعاره ألفاظ قليلة تنتسب إلى الجناس ، وأهمها عذار
الحبيب ، الذي جعله يخلع عذاره ، وبسط له العذر في الحب والعكوف على الغنى .
فقد أكثر من هذا القول ، حتى ما يكاد يرى العذار أو يجري له ذكر إلا تنبه
إليه ونبه عليه ، مما أفقده كثير آ من رونقه . ولم أجد له عدا ذلك غير ألفاظ
قليلة ، مثل ما في عيني الحبيب من فتون وفتور أقسم بهما ، وما تحلى به من هيف
جعل قلبه يهفو إليه . فالجناس إذن غير ذي أهمية لدى الشاعر .

ولعلنا ، لو أحببنا أن نصور ابن وكيع الشاعر في ختام هذا البحث السريع
في عبارة واحدة ، ما وجدنا أحسن تمثيلا له من عبارة : « شاعر الزهر والخمر » .

دكتور حسين نصار
كلية الآداب بجامعة القاهرة

٢١ جماد أول ١٣٧٢
٢٥ يناير ١٩٥٣

شكر

أهدى جزيل شكرى إلى أستاذى «مصطفى السقا»
الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة، الذى تفضل بقراءة
الكتاب، وتصحيح كثير من أخطائه، ومراجعة تجاربه
فى المطبعة. وجدير بالشكر أصحاب مكتبة مصر، ودار مصر
للطباعة، لإخراجهم الكتاب فى صورته الحالية.

ع. ٥٠

مراجع المقدمة

- ١ - محمود الحنفى ذهني : ابن وكيع التنيسي (رسالة ما جستير) .
- ٢ - ياقوت : معجم البلدان ، الجزء الأول ، تحقيق وستنفلد .
- ٣ - المقرئى : الخطط ، الجزء الأول . طبع بلاق ١٢٧٠ هـ .
- ٤ - على مبارك : الخطط التوفيقية ، الجزء العاشر ، طبع بلاق ١٣٠٦ هـ .
- ٥ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، الجزء الثالث والرابع ، طبع دار الكتب المصرية .
- ٦ - دائرة المعارف الإسلامية ، مادة ضبة .
- ٧ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، الجزء الأول ، تحقيق ديسلان .
- ٨ - ابن النديم : الفهرست ، تحقيق فلوجل .
- ٩ - الشعالى : بقيمة الدهر ، الجزء الأول ، طبع الصاوى .
- ١٠ - ابن العماد الأصهبانى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، الجزء الثالث .
- ١١ - اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، الجزء الثانى ، مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد ١٣٣٨ هـ .

مصادر شعر ابن وكيع

- ١ - يقيمة الدهر للشعالي ، الجزء الأول ، طبعة الصاوى .
- ٢ - حلبة السكيت للنواجي ، مخطوط بدار الكتب المصرية عام ٧٦٧ هـ ،
أى بعد وفاة النواجي بثمانى سنين ، تحت رقم ٥٠٩٢ أدب .
- ٣ - نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ، طبع دار الكتب المصرية .
- ٤ - تنمة اليقيمة للشعالي ، طبع طهران .
- ٥ - نثار الأزهار فى الليل والنهار لابن منظور ، طبع الجوائب ١٢٩٨ هـ .
- ٦ - مباحج الفكر ومناهج العبر ، للوراق السكتي ، مصور بدار الكتب
المصرية برقم ٣٢٤ طبعية .
- ٧ - وفيات الأعيان ، لابن خلكان : الجزء الأول ، طبع باريس ١٨٣٨ م .
- ٨ - تزيين الأسواق ، لداود الأنطاكي ، المطبعة الميمنية .
- ٩ - حسن المحاضرة للسيوطي ، الجزء الثانى ، مطبعة الوطن ١٢٩٩ هـ .
- ١٠ - تحفة المجالس ونزهة المجالس للشعالي ، طبعة الجوائب .
- ١١ - المستطرف فى كل فن مستظرف للأبشهى ، المطبعة العثمانية ١٣٠٤ هـ .
- ١٢ - المنصف لابن وكيع ، مخطوط فى مكتبة الدكتور خليل عساكر ،
الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة .
- ١٣ - مرآة الجنان لليافعى النيني ، طبع حيدر آباد ١٣٩٣ هـ .
- ١٤ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لأبى الفرج بن العباد الحنبلى ،
نشر مكتبة القدسي .
- ١٥ - ديوان الصبابة لأحمد بن أبى حجلة المغربي ، على هامش المستطرف .
- ١٦ - الصبح المنبى عن حيثية المتنبي للبديعى .
- ١٧ - الرسالة المصرية لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى ، تحقيق
الأستاذ عبد السلام هارون ، (نواذر المخطوطات) ١٩٥١ م .
- ١٨ - عنوان المرقصات والمطربات ، لعلى بن موسى بن سعيد المغربي ، طبع
جمعية المعارف .

الباء

١ - حب مع البعد^(١) :

إِنْ كَانَ قَدْ بَعْدَ اللَّقَاءِ فَوَدُّنَا
دَانٍ^(٢) وَنَحْنُ عَلَى التَّوَيِّ أَحْبَابُ
كَمْ قَاطِعٍ لِلْوَصْلِ يُؤْمَنُ وَدُّهُ
وَمُوَاصِلٍ بِوَدَادِهِ يُرْتَابُ^(٣)

٢ - رجاء وعتاب^(٤) :

أَرْجَى دُنُوَّ الْوَصْلِ مِنْ بَعْدٍ بُعْدِهِ
كَمَا قَدْ تَرَجَّجِي فِي الْجُدُوبِ السَّحَابِ
وَأَكْثَرُ فِي الْهَجْرِ الْعِتَابِ كَأَنِّي
لَدَهْرِي مِنْ ظُلْمِ الْكِرَامِ أَعَاتِبُ^(٥)
وَأَهْوَى مَوَاعِيدَ الْمُنَى عَنْكَ بِالرِّضَا
وَقَدْ تُتَمِّعُ الْأَمَالَ وَهِيَ كَوَاذِبُ^(٦)

٣ - دلال الحبيب^(٧) :

قَالُوا : عَشِقْتَ كَثِيرَ الْبُخْلِ مُتَمَتِّعًا !
فَقُلْتُ : هَيَّاهُتَ عَنْكُمْ غَابَ أَطْيَبُهُ^(٨)
لَوْ جَادَ هَانَ وَقِيلَ^(٩) : الْجُودُ عَادَتُهُ
وَإِنَّمَا عَزَّ لَمَّا عَزَّ مَطْلَبُهُ

(١) مصادر المقطوعة : الثعالي : يتيمة الدهر ١ : ٣٤٠ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٠١ : ١ .

(٢) في الوفيات : وموصل . ومعنى البيت أن الأمر في الحب لا يعتمد على الوصل والهجور وحدهما ، فكثير من الذين هجروا أحبابهم مخلصون مأمون حبيهم ، وكثير من يصلون أحبابهم غير مخلصين ، مشكوك في ودعهم .

(٣) مصادرهما : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٧ .

(٤) يقول : أكثر في أوقات الهجر من العتاب ، كأنني أعاتب الدهر على ما أوقعه بالسكرام من مظالم .

(٥) وأشغف بالأمانى التي تعدني برضاك ، وإن كانت كواذب ، فإنها برغم ذلك تبعث في المتعة والسرور . وفي طبعة الصاوي من يتيمة الدهر : تمنع الآمال ، تحريف .

(٦) مصادرهما : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٧ . وتزيين الأسواق لداود الأنطاكي ٢٠٨ . وقال قبلها : « ويستحب لمن وسم بالجمال ، وأخذ بقلوب النساء والرجال ، أن يكون كثير التدل ، قليل التبذل ، فإن ذلك أدعى للسلامة ، وأبعد عن اللامة » .

(٧) في تزيين الأسواق : كثير التيه . (٨) في تزيين الأسواق : وفات .

٤ — غدير^(١) :

غَدِيرٌ يُجْعَدُ أَمْوَاهُهُ هُبُوبُ الرِّيحِ وَمَرُّ الصَّبَا^(٢)
إِذَا الشَّمْسُ مِنْ فَوْقِهِ أَشْرَقَتْ تَوَهَّمَتْهُ جَوْشَنًا مُذْهَبًا^(٣)

٥ — عبوس وإعراب^(٤) :

إِنْ شِئْتُ أَنْ تَصْبِحَ بَيْنَ الْوَرَى مَا بَيْنَ شَتَائِمٍ وَمُغْتَابٍ
فَكُنْ عَبُوسًا حِينَ تَلْقَاهُمْ وَخَاطِبِ النَّاسِ بِإِعْرَابٍ^(٥)

٦ — قال الثعالبي في تنمة اليتيمة : « وأنشدني الشيخ أبو بكر
أيده الله ، قال : أنشدني أبو يعلى سعيد بن أحمد الشروطي بالرملة ،
لابن وكيع^(٦) :

يَحْسُنُ النَّحْوُ فِي الْخُطَابَةِ وَالشَّعْرِ وَفِي لَفْظِ سُورَةٍ وَكِتَابٍ
فَإِذَا مَا تَجَاوَزَ النَّحْوُ هَذِي فَهَوَ شَيْءٌ مِنَ الْمَسَامِعِ نَابٍ^(٧)

(١) مصادرها : حسن المحاضرة للسيوطي ٢ : ٢٧٧ . وحلبة الكهيت للنواجي ٣٣٣ .
والرسالة المصرية لأبي الصلت ٢٢ .

(٢) رواية الحلبي : * غدير يرجح أمواجه * وفي الرسالة المصرية : يدرج أمواجه . هبوب
القمال . والجعد : خلاف الناعم الأملس . ويريد هنا أن الرياح حين تمر بمياه هذا الغدير تلعب بها ،
وتجعلها تتأوج موجة في إثر أخرى ، فتظهر على صفحاتها خطوط من الماء ، الواحد وراء الآخر .
ويحدث هذا عندما تهب عليه الريح الشديدة ، أو يمر به النسيم الخفيف كالصبا .

(٣) الجوشن : الدرر .

(٤) مصادرها : تنمة اليتيمة ١ : ٣٠ .

(٥) بإعراب : كذا في الأصل ، وهي صحيحة ، وربما كانت بإعراب ، بالفن المنقوطة .

(٦) مصادرها : تنمة اليتيمة ١ : ٣٠ .

(٧) كذا في الأصل ، والأصح : عن السامع .

٧ - دعوة للصُّبُوح^(١) :

مَتَى وَعَدْتُكَ فِي تَرْكِ الْهَوَى عِدَّةً فَاشْهَدْ عَلَيَّ عِدَّتِي بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ
أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَّتْ عَسَا كَرُهُ وَأَقْبَلَ الصَّبِيحَ فِي جَيْشٍ لَهُ لَجَبٌ^(٢)
وَجَدَّ فِي أَثَرِ الْجُوزَاءِ^(٣) يَطْلُبُهَا فِي الْجَوِّ رَكْضَ هَلَالٍ دَائِمِ الطَّلَبِ
كَصَوِّ لُجَانٍ لُجَيْنٍ فِي يَدَيَّ مَلِكٍ أَذْنَاهُ مِنْ كُرَّةٍ صِيغَتْ مِنَ الذَّهَبِ
فَقُمْنَا بِنَا نَضْطَبِّحُ صَفراءَ صَافِيَةً كَالنَّارِ لَكِنَّهَا نَارٌ بِلَا لَهَبٍ^(٤)
عَرُوسَ كَرَمٍ أَتَتْ تَخْتَالُ فِي حُلْدٍ صُفْرٍ عَلَى رَأْسِهَا تَأْجُ مِنْ الْحَبَبِ

٨ - نخيل البلح^(٥) :

أَمَّا تَرَى النَّخْلَ طَارِحًا بَلَحًا جَاءَ بِشِيرًا بِدَوْلَةِ الرُّطَبِ^(٦)
كَأَنَّهُ وَالْعِيُونُ تَنْظُرُهُ إِذَا بَدَأَ زَهْرُهُ عَلَى الْقُضْبِ^(٧)
مَكَاحِلُ مِنْ زُمُرٍ خُرِطَتْ مُقَمَّعَاتُ الرُّعُوسِ بِالذَّهَبِ

(١) مصادرها : ينمة الدهر ١ : ٣٣٨ . وشار الأزهاري لابن منظور ٥٠ .

(٢) الجيش اللجب : الكبير ذو الجلبة والصباح .

(٣) الجوزاء : نجم يعترض في وسط السماء .

(٤) نضطبح : نهرب في الصباح .

(٥) مصادرها : نهاية الأرب للنويري ١١ : ١٢٦ . وحسن المحاضرة للسيوطي ٢ : ٣٠١ (دون أن ينسبها إلى أحد) .

(٦) طارحا : يريد مثمرا ، وهو استعمال شائع في كلام عامة مصر ، وهو مأخوذ من المعنى الفصيح في قولهم : طرحت النخلة الثمر ، أى قذفته ورمته . وفي حسن المحاضرة : ثرت بلحا ، بتشديد الشاء .

(٧) القضب هنا : سعف النخيل ، ويبدو أن هذا اللفظ كان شائع الاستعمال في مصر في ذلك الحين . انظر المقطوعة التالية وحسن المحاضرة ٢ : ٢٥٣ ، ٢٩٦ .

٩ - الخليج^(١) :

قُمْ فَاسْقِنِي وَالْخَلِيجُ مضطربٌ^(٢) والريحُ تثنى ذَوَائِبَ الْقُضْبِ^(٣)
كَأَنَّهَا وَالرَّيَّاحُ تَعْطِفُهَا^(٤) صَفٌّ قَنَّا سُنْدُسِيَّةِ الْعَذَبِ^(٥)
وَالجَوِّ فِي حُلَّةٍ مُمَسَّكَةٍ^(٦) قَدْ طَرَزَتْهَا الْبُرُوقُ بِالذَّهَبِ^(٧)
١٠ - قَسَمٌ^(٨) :

لا ، وَوَعْدِ الْوَصْلِ بِاللَّحْظِ عَلَى رَغَمِ الرَّقِيبِ
وَإِخْتِلَاسِ الْقُبْلَةِ الْجُلُوءِ مِنْ خَدِّ الْحَبِيبِ
وَسَمَاعِ مُسْتَطَابٍ^(٩) جَاءَ فِي لَفْظٍ مُصِيبٍ^(١٠)
مَا سِوَى الرَّاحِ لِدَاءِ الْهَمِّ عِنْدِي مِنْ طَيْبِ
١١ - زِيَارَةِ الْحَبِيبِ لَيْلًا^(١١) :

حَبَّذَا زَوْرُ أَتَانِي طَارِقًا بَعْدَ اجْتِنَابِهِ^(١٢)
شَقَّ جُنْحَ اللَّيْلِ بَدْرٌ لَاحَ مِنْ ثَنِي تَقَابِهِ^(١٣)
طَرَبَتْ نَفْسِي إِلَيْهِ وَإِلَى طَيْبِ اقْتِرَابِهِ
طَرَبَ الشَّيْخَ إِذَا ذُكِّرَ أَيَّامَ شَبَابِهِ

- (١) مصادرها : بقيمة الدهر ١ : ٣٣٨ . وحلبة الكميت للتواجي ، ظهر الورقة ١٨٧ .
(٢) ذوائب القضب : أعاليها ، جمع ذؤابة . (٣) العذب : طرف كل شيء ، يريد الخوص .
(٤) ممسكة : مطيبة بالمسك . (٥) مصادرها : بقيمة الدهر ١ : ٣٤٠ .
(٦) السماع : الغناء . (٧) مصادرها : بقيمة الدهر ١ : ٣٣٧ .
(٨) الزور : الزائر . والطارق : الزائر بالليل .
(٩) جنح الليل : القطعة منه . وثني النقاب : ما انثنى وانعطف منه .

١٢ — سُهاد وعذاب^(١) :

يا مَنْ إِذَا لاحتْ محاسن وجهه
النجمُ يعلمُ أن عَيْنِي في الدُّجَى
إن كان في تعذيب قلبي راحةٌ
لو كان سفكُ دمي إليك مُحِبًّا
غفرتُ بدائعها جميعَ ذنوبِهِ
معقودةٌ بطلوعِهِ وغروبِهِ
لك ، فاجتهدُ باللهِ في تعذيبِهِ
لَرَأَيْتَنِي مُتَضَرِّجًا بِصَبِيهِهِ^(٢)
١٣ — أصدقاء السوء^(٣) :

لا تُتْلَفَنَّ مُقَرَّرًا — ارنا
فالثوبُ يَنْقُذُ صَبْغُهُ
مَنْ لَا يَزِينُ مِنَ الصَّحَابِ
فيما يليه من الثَّيابِ

الجميم

١٤ — الزيتون^(٤) :

أَنْظُرْ إِلَى زَيْتُونِنَا
بدا لنا كأعينِ
فيه شفاء المُهْجِ^(٥)
شُهِلِ وذاتِ دَعَجِ^(٦)
مُخَضَّرُهُ زبرجدُ
مُسَوَّدُهُ من سَبَجِ^(٧)

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٢٤٠ .

(٢) المتضرع : المتلطف . والصيب : الدم المصبوب .

(٣) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٢٣٩ .

(٤) مصادرها : نهاية الأرب للنويري ١١ : ١٣٢ .

(٥) المهج : جمع مهجة ، وهي الروح أو دم القلب .

(٦) الشهل : نعت من الشهلة ، وهي أقل من الزرق في الحدة ، وأحسن منه ، أو أن تشرب الحدة حمرة ليست خطوطا كالشكلة . حتى كأن سوادها يضرب إلى الحمرة . والدعج : شدة سواد العين مع سقمها .

(٧) السبع : الحرز الأسود .

الدال

١٥ — قال الثعالبي في تنمة اليتيمة: أنشدني الشيخ أبو الحسن مسافر
ابن الحسن أيده الله تعالى قال: أنشدني أبو الحسن محمد بن الحسين العثماني
قال: أنشدنا القاضي ابن البساط البغدادي لابن وكيع التنيسي، وهو
أحسن ما قيل في مدح السفر^(١):

تَقَرَّبْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَالتَّمَسِ الْغَنَى وَسَافِرٌ، فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَقَرِّجْ نَفْسٍ وَالتَّمَسْ مَعِيشَةً وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَرُقْفَةٌ مَاجِدِ
فَإِنْ قِيلَ فِي الْأَسْفَارِ ذُلٌّ وَغُرْبَةٌ وَتَشْتِيتُ شَمْلٍ وَارْتَكَبُ شِدَائِدِ
فَلَمَمْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ مُقَامِهِ بِدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ ضِدٍّ وَحَاسِدِ

١٦ — ومن مُلَحَّ شعره وغرائبه قوله من قصيدة مربعة، في الغزل
بغلام نصراني^(٢):

رِسَالَةٌ مِنْ كَلْفٍ عَمِيدٍ حَيَاتُهُ فِي قَبْضَةِ الصُّدُودِ^(٣)
بَلَغَهُ الشَّوْقُ مَدَى الْمَجْهُودِ مَا فَوْقَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ مَزِيدِ

جَارَ عَلَيْهِ حَاكِمُ الْغَرَامِ فَدَقَّ أَنْ يُدْرِكَ بِالْأَوْهَامِ^(٤)

(١) مصادرها: تنمة اليتيمة ١: ٣٠.

(٢) مصادرها: يتيمة الدهر ١: ٣١٨.

(٣) الكلف: العاشق. والعميد: الشديد الحزن.

(٤) فدق: يريد أنه ضعف ونحل حتى صار لا تدركه الأوهام.

فَلَوْ أَتَاهُ طَارِقُ الْحَمَامِ لَمْ يَرَهُ مِنْ شِدَّةِ السَّقَامِ^(١)

لَهُ اهْتِزَازٌ وَارْتِيَاخٌ وَطَرَبٌ لَوَجْهِهِ مِنْ أَوْرَثِهِ طَوْلُ الْكُرْبِ
فَهَلْ سَمِعْتُمْ فِي أَحَادِيثِ الْعَجَبِ بَيْنَ مُنَاهُ قُرْبُ مَنْ مِنْهُ الْعَطَبِ^(٢)

مَا غَابَ عَنْهُ الْحَزْمُ فِي الْأُمُورِ لَكِنَّ مَقْدَارَ الْهَوَىٰ ضَرُورِي^(٣)
صَاحِبُهُ يَخْبِطُ فِي دِيَجُورٍ مُنْفَسِدِ التَّقْدِيرِ بِالْمَقْدُورِ^(٤)

إِذَا التَّقَىٰ فِي مِسْمَعِيهِ الْعَدْلُ وَقِيلَ مِنْ دُونِ الْمُرَادِ الْقَتْلُ^(٥)
قَالَ لَهُمْ : لَوْمُ الْمُحِبِّ جَهْلُ إِنَّ الْهَوَىٰ يُغْلَبُ فِيهِ الْعَقْلُ

مَا الْعُذْرُ فِي السَّلْوَةِ عَنْ غَزَالٍ مُنْقَطِعِ الْأَقْرَانِ وَالْأَشْكَالِ
تَسْتَخْلِفُ الشَّمْسُ لَدَى الزَّوَالِ ضِيَاءَ خَدْيِهِ عَلَى اللَّيَالِي^(٦)

بِخَفَّةِ الرُّوحِ احْتَوَىٰ صِلَاحِي فَصَرْتُ لَا أَرْغَبُ فِي الْفَلَاحِ

(١) الطارق : الزائر ليلا . والحمام : الموت .

(٢) العطب : الهلاك .

(٣) مقدار الهوى : ما قدر على المرء منه .

(٤) الديجور : الظلام . والمقدور : أي المقدر عليه .

(٥) المسمعان : الأذنان .

(٦) يصف خديه بالإشراق والضياء ، حتى إن الشمس حين تغيب تركه خلفا منها يضيء الليالي .

والشَّكْلُ وَالْخَفَّةُ فِي الْأَرْوَاحِ أَمْلَحُ مَا يُعَشِّقُ فِي الْمِلَاحِ

مَنْ عَشِقَ الْقَدَمَ وَإِنْ دَقَّ الْبَصْرُ فَلَيْقَ صِدِّ الْبَيْعَةِ وَلَيْهَوِ الصُّورُ^(١)
مَنْ كَانَ يَهْوِي مَنْظَرًا بِلا خَيْرٍ فَمَا لَهُ أَوْفَقُ مِنْ عَشِقِ الْقَمَرِ

ظَنِّي سُلُوبِي عَنْهُ مِثْلَ جُودِهِ خَيَالُهُ أَكْذَبُ مِنْ مَوْعُودِهِ^(٢)
أَجْفَاهُ أَسَقَمُ مِنْ عُهُودِهِ أَرْدَاهُ أَثْقَلُ مِنْ صُدُودِهِ

يَا وَصْلَهُ صَلِّ مِثْلَ وَصَلِ صَدِّهِ^(٣) يَا حُكْمَهُ كُنْ فِي اعْتِدَالِ قَدِّهِ
يَا قَلْبَهُ كُنْ رِقَّةً كَخَدِّهِ^(٤) يَا خَصْرَهُ كُنْ مِثْلَ ضَعْفِ عَهْدِهِ

أَمَّا وَخَصْرٍ ضَعْفُهُ كَصَبْرِي لَهُ ، وَوَجْهِ حُسْنُهُ كَشِعْرِي^(٥)
لَهُ عِذَارٌ قَامَ لِي بَعْدَ ذَرِي لَا تُبَيِّتُ مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِ دَهْرِي^(٦)

-
- (١) القدم : الأحق الغليظ ، ويريد الذي لا يبادل له حبا بحب ، ولا يؤثر فيه غزله ولا استعطافه .
(٢) موعوده : وعده أو ما يعد به . يقول إنه لا يستطيع أن يسألو حبيبته الذي لا يجوده بالوصل ، ولا يزوره حتى خياله .
(٣) في طبعة الصاوي لليثيمة : يا وصل صله مثل ... وهو اضطراب . ومعنى الشطر أنه يرجو أن ينال من وصله ما نال من صده .
(٤) كن رقة : أي كن رقيقا ، عبر بالمصدر في موضع النعت ، وهو استعمال معروف .
(٥) يصف خصره بالرقة والضعف كصبره عنه ، ووجهه بالحسن والجمال كشعره فيه .
(٦) العذار : الموضع الذي يفت عليه شعر اللحية من الخد ، يصف عذاره بالجمال الفائق ، الذي حين يراه الناس يعذرونه لحبه إياه .

أَخْصَى لِابْلِيسَ بِهِ اسْتِقْدَارُ عَلَى بَنِي آدَمَ وَاسْتَبْشَارُ^(١)
وَقَالَ : فِي ذَا تَسْتَطَابُ النَّارِ مَا لَهُمْ عَنْ مِثْلِ ذَا اصْطِبَارِ

تَمَّتْ لِيَ الْحِيلَةُ فِي الْعِبَادِ أَدْرَكْتُ مِنْ صَالِحِهِمْ مُرَادِي^(٢)
مِثْلِ ذَا أَمَكَّنِي إِفْسَادِي لِأَنْفُسِ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ

وَالْهَفْتِي مِنْ خَدِّهِ الْأَسِيلِ إِذَا انْجَلَى عَنْ صَفْحَتِي صَقِيلِ^(٣)
وَاحْرَبِي مِنْ طَرَفِهِ الْكَجِيلِ مَنْ مُنْصِفِي مِنْهُ ! وَمَنْ مُدْبِلِي !^(٤)

مِنْ مُقَلَّةٍ كَالصَّارِمِ الْبَتَّارِ الْخَاطِئُهَا أَمْضَى مِنَ الْعِمْدَارِ^(٥)
تَحْكُمُ فِي بُيِّ وَفِي اصْطِبَارِي نَظِيرَ حُكْمِ الدَّهْرِ فِي الْأَحْرَارِ

حَلَّ قُوَايَ الْعَقْدُ مِنْ زُنَّارِهِ أَلْهَبَ قَلْبِي خَدَّهُ بِنَارِهِ^(٦)
عَذَرَ صَبْرِي مُبْتَدَا عِذَارِهِ حَيَّرَنِي بِالطَّرْفِ وَاحْوَرَّارِهِ^(٧)

(١) استقدار ، هنا : اقتدار ، ولم أجدها بهذا المعنى في المعاجم ، وإنما فيها : استقدر الله خيرا : سأله أن يقدر له به .

(٢) صالحهم : أى الصالح من الناس . يريد أن إبليس يستطيع أن يفوى بهذا الحبيب الجميل الصالح من الناس لا الفاسد حسب .

(٣) الأسيل : الأملس الطويل . وصفحته : يريد بهما الخدين .

(٤) الحرب : الهلاك والويل . ومدبلي ، هنا : منصف . والطرف : العين .

(٥) مقلة : عين . الصارم : السيف القاطع . البتار : الحاد القاطع . المقدار : القدر .

(٦) العقد هنا : الملقود والزنار : الحزام ، وكان للمسيحيين خاصة في العصور الإسلامية الأولى .

(٧) عذر صبرى : أى منح العذار الصبر عذرا فى ترك الحب . والاحورار : صفاء بياض العين ، وقوة سوادها .

جاء بوجهٍ حسنهٌ محبوبٌ تطيبُ في أمثاله الذنوبُ
وقامةٌ ذلٌّ لها القضيْبُ والقلبُ تنقذُ به القلوبُ^(١)

هفأً بقلبي منه إفراط الهيفُ فقلتُ لما أنْ تثنى وانعطفُ:
ياسيدي من دُونِ ذا الميلِ التلفُ وشرطُ مَنْ كان ظريفاً في القطفِ^(٢)

ما قصرَ القامةِ مثلَ الطولِ ولا البدنِ الجسمِ كالمهزولِ
عشقُ الرشيْقِ الأهيفُ المجدولِ شأنُ ذوى الأفهامِ والعقولِ^(٣)

لا يعشقُ الضخمَ الغليظَ الجسمِ غيرُ غليظِ الطبعِ جافِ فدمِ^(٤)
مكدرِ الحسِّ رَكودِ الفهمِ يقولُ في الحسَنِ بغيرِ علمِ

قد صحتُ لما خفتُ منه القتلا وكدتُ من فرطِ السقامِ أُلَى
يا حاكِماً جانبَ في العَدلا مهلاً بمن يهواك مهلاً مهلاً

(١) تنقذُ : تنشق وتنقطع .

(٢) القطفُ ، بالتجريك : ليس لها من المعاني ما يتفق مع السياق هنا ، ولعل أصلها بتسكين الطاء ، وحركت للضرورة الشعرية ، ومعناها تقارب الخطو في السير مع البطء . وربما كانت الكلمة محرفة عن : القصف ، بمعنى النجافة ، أى أن شرط الظريف أن يكون نجيفاً ، وبؤيد ذلك البيت السابق والآتي .

(٣) المجدول : اللطيف العظام المشدود اللجم المحكم الطي .

(٤) الحافى : السكز الغليظ . والفدم : الأحمق الغليظ .

يا ظالماً يَقتُلُنِي مُجَاهَرَةً قد منعَ الوَجْدُ من المُسَاوَرَةِ
هَلُمَّ إِنْ شئتَ إِلَى المَنَاطِرِهِ واستَعْمِلِ الإنصافَ لا المُكَاوَرَةِ

فِي أَيِّ دِينٍ حَلَّ قَتْلُ الرُّوحِ وهَلْ لَمَّا تَفَعَّلُ من مُبِيعِ
إِنْ قُلْتَ : ذَا جَاءَ عَنِ المَسِيحِ فَلَيْسَ مَا تَزْعُمُ بِالصَّحِيحِ

مُرْقَسُ مَا أَخْبَرْنَا بِذَا الخَبَرِ عَنْهُ ^(١) وَلَا لَوْكَ حَكَاهُ فِي الأَثَرِ
وَقَدْ نَهَى عَن ذَا يُحَنَّا وَزَجَرَ وَلَا ارْتَضَى مَتَى بِهِ وَلَا أَمَرَ

أَرْبَعَةٌ لَيْسَ لَهُمْ عَدِيلُ وَلَا لَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ كَفِيلُ ^(٢)
مَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ مَا تَقُولُ فَهَلْ سِوَى إِنْجِيلِهِمْ إِنْجِيلُ ؟

فَإِنْ زَعَمْتَ أَنْ ذَا مَوْجُودُ فِي زُبُرِ جَاءَ بِهِ دَاوُدُ
فَمَا الزَّبُورُ بَيْنَنَا مَفْقُودُ فَكَيْفَ لَمْ تَعْلَمْ بِهِ الْيَهُودُ ؟

وَلَمْ يُخَبِّرْ أَحَدٌ سِوَاكَ مِنَ النِّصَارَى كُلِّهِمْ بِذَا كَا
لَا تَتَقَوْلُ غَيْرَ مَا أَتَاكَ وَغَلَّبَ الْحَقُّ عَلَى هَوَاكَ

(٢) العديل : النظير والمثل ، وكذا الكفيل .

(١) عنه : أى عن المسيح .

سَفَكُ دَمِي يُحْظَرُ فِي الْأَدْيَانِ فَدَعُ حِجَابًا ظَاهِرَ الْبُطْلَانِ^(١)
لَا تَجْمَعِ الْإِثْمَ مَعَ الْبُهْتَانِ^(٢) وَكُنْ عَلَى خَوْفٍ مِنَ الْعُدْوَانِ

وَأَعْلَمْ بَأْنِي إِنْ تَمَادَى بِي الْهَوَى وَخِفْتُ أَنْ أَتْلَفَ مِنْ فَرْطِ الضَّنَى
وَدُمْتُ فِي هَجْرِكَ لِي كَمَا أَرَى وَلَمْ أَجِدْ مِنْكَ لِمَا بِي مُشْتَكِي^(٣)

شَكَوْتُ مَا تَلْقَاهُ نَفْسِي الْبَائِسَةُ مِنْ خَطَرَاتِ الْهُمُومِ هَاجِسَةِ
عَفْتُ رُسُومِ الصَّبْرِ فَهِيَ دَارِسَةُ^(٤) إِلَى جَمِيعِ عُصْبَةِ الشَّامِسَةِ

فَإِنْ هُمْ لَمْ يَرْحَمُوا أُنَيْنِي وَخَيَّبُوا فِي قَصْدِهِمْ ظُنُونِي
وَلَمْ أَجِدْ فِي الْقَوْمِ مِنْ مُعِينٍ يُنْصِفُنِي مِنْكَ وَلَا يَعْدِينِي^(٥)

شَكَوْتُ مَا يَلْقَى مِنَ الْأَحْزَانِ قَلْبِي إِلَى مَشِيخَةِ الرُّهْبَانِ^(٦)
عَسَاكَ تَسْتَحْيِي مِنَ الشَّيْخَانِ^(٧) وَإِنْ تَهَاوَنْتَ بِهِمْ فِي شَانِي

(١) الحجاج : الجدل . (٢) البهتان : الكذب والافتراء .

(٣) المشتكى : من تشكى إليه فيزيل أسباب شكوكه .

(٤) عفت : أحت . ورسوم الدار : ما كان لاحقا بالأرض من آثارها ، ويريد برسوم الصبر :

ما تبقى منه ، والدارسة : المحو . (٥) يعديني : ينصفي .

(٦) يلاحظ أن الرهبان ليسوا من رجال الكنيسة الذين راعى ترتيبهم بحسب مراتبهم السكهنوتية ، ولعله قصد لفظ الشيوخ والمشيخة ، ولم يقصد لفظ الرهبان لذاته .

(٧) الشيوخان : الشيوخ .

فَلَا أَرَاكَ مُغْضَبًا عَبْدُوسَا إِذَا أَتَيْتُ أَسْأَلُ الْقَيْسِيَا
مَعُونَةً أَرْجُو لَهَا التَّنْفِيسَا عَنْ مُهْجَةٍ قَارَبَتْ النَّسِيسَا^(١)

وَاعْلَمْ بِأَنِّي إِنْ رَدَدْتَ شَافِعِي هَذَا ، وَلَمْ يَرْجِعْ بِأَمْرِ نَافِعِي
فَلَيْسَ ذَا بَحَاسَمٍ مَطَامِعِي كَم طَالِبٍ جَدًّا بِجَدِّ الْمَنَاعِ^(٢)

لَوْ كُنْتَ مَبْذُولًا لَنَا لَمْ تُطْلَبِ وَإِنَّمَا نَرْغَبُ إِذْ لَمْ تَرْغَبِ
وَكَلَّفُ^(٣) النَّفْسَ بِتَرْكِ الْأَقْرَبِ وَشِدَّةَ الْحَرْصِ عَلَى الْمُسْتَضْعَبِ

وَإِنْ تَمَادَيْتَ عَلَى جَفَائِكَا وَدُمْتَ بِالْقِلَّةِ مِنْ حِبَائِكَا^(٤)
فِي هَجْرِنَا عَلَى قَيْيَحِ رَأْيِكَا وَاسْتِيَاسِ الرَّهْبَانِ مِنْ إِصْفَائِكَا^(٥)

فَلَا تَأْمَنِي إِنْ قَصَدْتُ الْأَسْتَفَا مِنْ بَرَحِ السَّقَمِ بِهِ رَامَ الشِّفَا
فَلَا تَقُلْ: أَبَدَيْتَ مَكْنُونَ الْخَفَا أَنْتَ الَّذِي أَخَوَجْتَنِي أَنْ أَكْشَفَا

-
- (١) النيس : بقية الروح في الجسد . وقاربت النيس : يريد كادت تموت .
(٢) يقول : إن من صادقهم العقبات الجسيمة فألهبت عزائمهم ، وقوت تصميمهم ، كثيرون .
(٣) في بعض نسخ اليتيمة : وكلت النفس .
(٤) الحباء : العطاء .
(٥) إصفاؤك : أن تصفيني الود : أي تعطيني إياه صافيا خالصا . وفي بعض نسخ اليتيمة :
إصفاؤك ، بالعين ، وهي صحيحة ، بمعنى طاعتك وخضوعك لما يأمرونك به من مواصاتي وعدم قتلي .

سَوْفَ إِلَى الْمَطْرَانِ أَنْهَى قِصَّتِي إِنَّ دَامَ مَا تُؤْثِرُهُ مِنْ هِجْرِي
فَإِنْ رَثِي لِي طَالِبًا مَعُوتِي وَلَمْ تُشَفِّعْهُ بِكَشْفِ كُرْبَتِي

شَكُوتُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ فَرْطِ السَّقَمِ قَلْبِي إِلَى الْبَطْرِكِ وَالْخَبَرِ الْعَلَمِ^(١)
عَسَاكَ إِنْ خَالَفَتْهُ فِيمَا حَكَمِ يُدْخِلُكَ الْحَرَمَ فَوَيْلٌ مَنْ حَرَمِ^(٢)

هُنَاكَ تَأْتِي مُسْتَقِيلًا ظُلْمِي تَسْأَلُنِي عَطْفَ الرِّضَا بِالرَّغَمِ^(٣)
تَرْضَى بِمَا يُنْفَذُ فِيكَ حُكْمِي إِذَا بِكَ اشْتَدَّ عَذَابُ الْحَرَمِ

دَعْ ذَا فَهَذَا كُلُّهُ تَهْدِيدُ أَرْجُو بِهِ قُرْبَكَ يَا بَعِيدُ
هِيَهَاتَ سِرِّي أَبَدًا جَعُودُ فَيْكَ ، وَقَوْلِي كُلُّ مَا تَرِيدُ^(٤)

مَوْلَايَ قَدْ ضَاقَتْ بِي الْأُمُورُ فَقُلْتُ مَا قُلْتُ ، وَقَوْلِي زُورُ
قَلْبِي إِلَّا فِي الْهَوَى جَسُورُ فَلَا تَلُمُ أَنْ يَنْفُثَ الْمَصْدُورُ^(٥)؟

(١) الخبر : العالم . والعلم : الفهيم .

(٢) الحرم : الحرمان ، ويريد بإدخاله فيه أنه يحرمه مغفرة الله .

(٣) مستقيلاً : طالبا صفحي .

(٤) جعود : لا يفشى السر . وقولي كل ما تريد : أى لا أقول إلا ما تريده .

(٥) المصدور : المريض الصدر ، وينفث المصدور : يرمي ببصاقه ، ويريد الشاعر كشفه ماضق عنه صدره من أسرار الحب .

مولای بالرحمن أخی مُغرماً يخاف أن تغضب إن تظَلَّما
إليك أشكو فَعَسَى أن تُنْعِمَا مهلاً قليلاً قد قتلت المُسْلِما

يا جرجسُ ارفُقْ بفؤادِ هائمٍ ياسيدي خَفْ سوءَ عُقْبَى الظالمِ
وقد رَضِينَا بك في التَّحَاكُمِ والجَوْرُ لا يُشْبِهُ فِعْلَ الحاكمِ

أَقْصَى رَجَائِي مِنْكَ نَيْلُ الْوُدِّ وَقُبْلَةُ تَشْنِي غَلِيلَ الْوَجْدِ
يا جائرًا أَفْرَطَ في التَّعَدَّى مِنْكَ إِلَيْكَ في الْهُوَى أَسْتَعْدِي^(١)

١٧ - كَرَمٌ وَخَمْرٌ وَوَجْهٌ الْحَبِيبِ^(٢) :

شَرِبْتُ مُجَاجَ الْكَرَمِ تَحْتَ ظِلَالِهِ^(٣) عَلَى وَجْهِ مَعْشُوقِ الشَّمَائِلِ أَغْنَيْدِ
كَأَنَّ عَنَاقِيدَ الْكَرُومِ وَظَلَّهَا كَوَاكِبُ دُرٍّ فِي سَمَاءِ زَبَرْجَدِ

١٨ - الْمِشْمِشُ^(٤) :

بَدَا مِشْمِشُ الْأَشْجَارِ يَذْكُو شِهَابُهُ

عَلَى حُسْنِ أَغْصَانٍ مِنَ الدَّوْحِ مُيِّدِ^(٥)

(١) التعدي : الظلم . وأستعدي : أَسْتَعِين .

(٢) مصادرها : مباهج الفكر ، الفن الرابع ص ٣٨٦ . (٣) مجاج الكرّم : يريد الخمر .

(٤) مصادرها : حلبة السميت ، ظهر ص ١٤١ . وتحفة المجالس ٢١٩ . ونهاية الأرب

١١ : ١٤١ . والمستطرف ٢ : ١٨٨ ومباهج الفكر ٣٦٧ .

(٥) يذكّر شهابه : يشتد ضياؤه . والدوح : الشجر العظيم ، جمع دوحة . والميّد : المهتزة .

ورواية الشطر الثاني في نهاية الأرب وتحفة المجالس ومباهج الفكر : على خضر أغصان من الرى ميّد

وفي المستطرف : * على غض أغصان من الروض ميّد * . ويبدو أن هناك تداخلا بينه وبين
المقطوعة الآتية .

حَكِي وَحَكَتْ أَغْصَانُهُ فِي اخْضِرَارِهَا

جَلَّاجِلَ تَبْرِ فِي قَبَابِ زَبْرَجِدٍ^(١)

١٩ - نَوْرُ السَّكَّتَانِ^(٢) :

ذَوَائِبُ كَتَّانٍ تَمَائِلُ فِي الضُّعَى

عَلَى خُضْرِ أَغْصَانٍ مِنَ الرَّيِّ مُيِّدٍ^(٣)

كَأَنَّ اصْفِرَارَ الزَّهْرِ فَوْقَ اخْضِرَارِهَا

مَدَاهِنُ تَبْرِ رُكْبَتٍ فِي زَبْرَجِدٍ

٢٠ - الْجُلْنَارُ^(٤) :

وَجُلْنَارٍ بَهِيٍّ ضِرَامُهُ يَتَوَقَّدُ^(٥)

بَدَا لَنَا فِي غُصُونٍ خُضِرَ مِنَ الرَّيِّ مُيِّدٍ

يَحْكِي فُصُوصَ عَقِيقٍ فِي قُبَّةٍ مِنْ زَبْرَجِدٍ^(٦)

(١) حكي : شابه ، والجلاجل : الأجراس الصغيرة . والتبر : فئات الذهب قبل أن يصاغ وفي نهاية الأرب ومباهج الفكر : وحكت أشجاره . وفي المستطرف : وحكت أشجاره في اخضراره .

(٢) مصادرها : حسن المحاضرة ٢ : ٢٩٧ . ونهاية الأرب ١١ : ٢٧ ومباهج الفكر ٢٩٩ .

(٣) السور : الزهر الأبيض . والدُّوَابَّة : الناصية أو منبتها من الرأس ، ويريد بها نور السكتان . وفي مباهج الفكر : تمايلن . » ونبات السكتان في غاية ما يكون من الهجة والنضارة وحسن الألوان » (نهاية الأرب ١١ : ٢٦) .

(٤) مصادرها : بتهمة الدهر ١ : ٣٤١ . ونهاية الأرب ١١ : ١٠٥ . وحسن المحاضرة ٢ : ٢٩٩ ومباهج الفكر ٣٢١ .

(٥) الجلنار : زهر رمان برى ، فارسي أو مصري ، قد يكون أحمر ، وقد يكون أبيض ، وقد يكون موردا (نهاية الأرب ١١ : ١٠١) . والضرام : ما اشتعل من الحطب ، ويريد به هنا الأحمر من الجلنار ، كأن به نارا . ويلاحظ أن الصور والألفاظ في هذه المقطوعات الدالية الثلاث متماثلة . وفي مباهج الفكر : وجلنار ذكي .

(٦) في مباهج الفكر : حكي .

الراء

٢١ — خمرية (١) :

أَشْرَبُ فَقَدْ طَابَتِ الْعَقَارُ وَابْتَسَمَ الْوَرْدُ وَالْبَهَارُ^(٢)
 مِنْ قَهْوَةٍ مَا انْبَرَتْ لَهُمْ إِلَّا وَوَلَّى لَهُ انْشِمَارُ^(٣)
 لَهَا جِيُوشٌ مِنَ الْمَلَاهِي لِلَّهِمْ قُدَّامَهَا الْفِرَارُ^(٤)
 لِأَلَاؤِهَا فِي الدُّجَى نَهَارُ يُظْلِمُ مِنْ نُورِهِ النَّهَارُ^(٥)
 إِذَا اسْتَقَرَّتْ حَشَا لَيْبٍ رَأَيْتَهُ مَا لَهُ قَرَارُ^(٦)
 لَمْ يَرَهَا نَظَرُ حَدِيدٍ إِلَّا تَنَى لَحْظَهُ انْكِسَارُ^(٧)
 حَبَابُهَا جِسْمُهُ لُجَيْنٌ وَجِسْمُهَا شَخْصُهُ نُضَارُ^(٨)
 كَانَتْهَا تَحْتَهُ كُمَيْتٌ عَلَيْهِ مِنْ فِضَّةٍ عِذَارُ^(٩)
 لَهَا لَدَى حُزْنٍ شَارِبِيهَا تَأَرُّ وَعِنْدَ الْحُلُومِ تَأَرُّ^(١٠)
 فَالْحُزْنَ عَنْ أَهْلِهَا مُطَارُ وَالْحِلْمُ فِي إِثْرِهِ مُطَارُ

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٢ .

(٢) العقار : الحجر . والبهار : نبت طيب الرائحة ، ويقال : هو الأفحوان الأصفر .

(٣) القهوة هنا : الحجر . ولى : هرب . والانشمار : الجد في الهرب .

(٤) اللألاء : الضوء . والدجى : الظلام . يقول : إن ضوءها من شدته يقلب الليل المظلم نهارا ، ويجعل النهار المضيء كأنه ليل بالنسبة لضوئه .

(٥) استقرت حشا : أى استقرت في حشا ، وحذف حرف الجر .

(٦) اللجين : الفضة ، شبه بها الحباب لبياضهما ، وفي الأصل : خيالها ، في موضع : حبابها ولا معنى لهذه الكلمة هنا . والنضار : الذهب شبه به الحجر للونهما .

(٧) الكميت : الفرس الأحمر في سواد ، شبه به الحجر للون أيضا . والعذار : ما كان من اللجام على خد الفرس ، شبه به الحباب .

(٨) الحلوم : جمع حلم وهو العقل أو الصبر والأناة . يريد أن بينها وبين الحزن والعقل تأرا ، فلا بد لها من الأخذ به .

فَلَا انْتَصَارَ لَنَا عَلَيْهَا وَلَا عَلَيْهَا لَنَا انْتِصَارُ
يَسْعَى بِهَا جُوذُرُ غَرِيرٍ فِي لَحْظٍ أَجْفَانِهِ اخْوِرَارُ^(١)
يَحْسُنُ مِنِّي الْوَقَارُ إِلَّا فِيهِ فَمَا يَحْسُنُ الْوَقَارُ
أَغَارُ مِنِّي عَلَيْهِ حَتَّى عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ أَغَارُ
كُلُّ جَمَالٍ تَرَى فِيهِ إِذَا تَأَمَّلْتَ مُسْتَعَارُ
كَأَنَّ صُدْعًا لَهُ تَرَاهُ وَهُوَ عَلَى خَدِّهِ مُدَارُ
مِيدَانُ آسٍ بَدَا جَيِّيًا أَلْهَبَ فِي جَانِبَيْهِ نَارُ^(٢)
بَيْتٌ مِنَ الْحُسْنِ لِي إِلَيْهِ حَبَّجْ مَدَى الدَّهْرِ وَاعْتِمَارُ^(٣)
زِيَارَةُ الْبَيْتِ كُلِّ عَامٍ وَدَهْرُ ذَا كُلِّهِ يُزَارُ^(٤)
قَلْتُ لَهُ إِذْ بَدَا وَقَابِي مِنْ لَاعِجِ الشَّوْقِ مُسْتَطَارُ^(٥)
يَا جَامِعَ الْحُسْنِ كُلِّ حُسْنٍ لِلنَّاسِ مِنْ شَرْطِكَ اخْتِصَارُ
مَا فَضَّلَ الْغَانِيَاتِ عِنْدِي عَلَيْكَ إِلَّا أَمْرُ حِمَارِ
٢٢ - رجوع العذول^(٦) :

أَقْبِلْ ، وَالْعَذَالُ يَلْحَوْنِي^(٧) فَكُلُّهُمْ قَالَ : مَنْ الْبَدْرُ ؟

- (١) الجوذور : ولد البقرة الوحشية ، شبه به الساقى . والغرير : غير المحرب .
(٢) الجنى : ما جنى من ساعته . شبه عذاره الأخضر حول خده الأحمر بالآس وقد ألهبت فيه النار .
(٣) الاعتار : الحج الأصغر ، ولا يشترط فيه زمان معين .
(٤) البيت : يريد به البيت الحرام .
(٥) لاعج الشوق : الحار المؤلم منه . ومستطار : منصدم متفرق من الخوف .
(٦) مصادرها : بقيمة الدهر : ٣٤١ . ونهاية الأرب ٢ : ٢٤٢ . وانظر المقطوعة رقم ٨٠ .
(٧) يلحونى : يلومونى .

فقلتُ : ذا مَنْ طالَ في حُبِّهِ مِنْكُمْ لِيَ التَّغْنِيفُ وَالزَّجْرُ !
 قالوا : جَهَلْنَا ! فَاغْتَفَرُ جَهْلَنَا فَلَيْسَ عَنْ ذَا لَامَرِيٍّ صَبْرُ
 عُدْرُكَ فِي الْحَبِّ لَهُ وَاضِحٌ وَمَالْنَا فِي لَوْمِنَا عُدْرُ
 ٢٣ — اِخْتِيَارُهُ ^(١) :

وَاحْرَبِي مِنْ جُفُونِ ظَنِّي ^(٢) أَقَامَ عُدْرِي بِهِ عِدَارُهُ
 أَسْقَمَ جِسْمِي بِسُقْمِ طَرْفٍ حَيَّرَنِي فِي الْهُوَى اخْوَرَارُهُ
 عَجِبْتُ مِنْ جَمْرٍ وَجَنَّتِيهِ يُحْرِقُنِي دُونَهُ اسْتِمَارُهُ ^(٣)
 هَذَا اخْتِيَارِي فَأَبْصُرُوهُ شَاهِدُ عَقْلِ الْفَتَى اخْتِيَارُهُ
 ٢٤ — الطَّلَعُ ^(٤) :

طَلَعُ هَتَكُنَّا عَنْهُ اسْتَارُهُ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ مُسْتَوْرًا
 كَأَنَّهُ لَمَّا بَدَا ضَاكِحًا فِي الْعَيْنِ تَشْبِيهَا وَتَقْدِيرًا
 دُرْجٌ مِنَ الصَّنَدَلِ قَدْ أَوْدَعَتْ ^(٥) فِيهِ يَدُ الْعَطَّارِ كَافُورًا

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤٢ .

(٢) الحرب بالتجريك : الهلاك والويل .

(٣) استعرت النار استعاراً : اتقدت . يعجب من وجنتي الحبيب الجراوين كالجر كيف تهرقانه هودون أن تمسا الحبيب بسوء .

(٤) مصادرها : نهاية الأرب ١١ : ١٢٤ . ومباهج الفكر ٣٥٨ .

وطلع النخل : شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان والجل بينهما منضود ، أو هو ما يبدو من ثمرته في أول ظهورها . وفي المباهج : هتكنا عنه أثوابه .

(٥) الدرج : الوعاء والسط . والصندل : شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز .

٢٥ — الآذريون^(١) :

قُمْ فَاسْقِنِي صَافِيَةً تَسْلُبُ قَلْبِي فِكْرَهُ
 فِي رَوْضَةٍ كَأَنَّهَا خَرِيدَةٌ فِي حَبْرَةٍ^(٢)
 كَأَنَّ آذَرِيُونَهَا أَسْوَدَهُ وَأَحْمَرَهُ
 سَحِيقُ مِسْكٍ مُودَعٍ فِي خِرْقٍ مُعْصَفَرِهِ^(٣)

٢٦ — قَبْلَةُ مُخْتَلَسَةٍ^(٤) :

ظَفِرْتُ بِقُبْلَةٍ مِنْكَ^(٥) اخْتِلَاسًا

وَكُنْتُ مِنَ الرَّقِيبِ عَلَى حِذَارٍ

أَلَذُّ مِنَ الصَّبُوحِ عَلَى غَمَامٍ

وَمِنْ بَرْدِ النَّسِيمِ عَلَى ثَمَارٍ^(٦)

(١) مصادرها : نهاية الأرب ١١ : ٢٧٨ . ومباهج الفكر ٤٤٥ .

والآذريون : ورد أصفر لاربع له ألبة ، وهو صنف من الأفحوان ، ومنه ما نواره أحر .
 وقال ابن البيطار في جامعہ : أنه نوار ذهبي ، في وسطه رأس صغير أسود ، واسمه بالفارسية :
 آذركون ، ومعناه لون النار .

(٢) الخريدة : البكر لم تمس أو الحفرة الطويلة السكوت الحافضة الصوت المستترة . والحبرة :
 ضرب من برود الين ، ويدو أنها موشاة كثيرة الألوان .

(٣) السحيق : السحوق . والمودع : المحفوظ . والمعصفرة : المصبوغة بالعصفر ، وهو
 صبغ أصفر اللون .

(٤) مصادرها : بتيمة الدهر ١ : ٣٣٩ . (٥) في طبعة دمشق من اليتيمة : منه .

(٦) الصبوح : شرب الخمر صباحا ، وكانوا يستحبون شربها في أيام الغيم والمطر طلبا للدفع .

٢٧ — غزل ورييع وخمر^(١) :

جَانَبْتُ بَعْدَكَ عِفَّتِي وَوَقَارِي
وَحَلَمْتُ فِي طُرُقِ الْمُجُونِ عِذَارِي^(٢)
وَرَأَيْتُ إِيْثَارَ الصَّبَابَةِ فِي الَّذِي
تَهْوَى النُّفُوسُ مُمَحِّقَ الْأَعْمَارِ
لَا تَأْمُرُنِي بِالتَّسَاثُرِ فِي الْهَوَى
فَالْعَيْشُ أَجْمَعُ فِي رُكُوبِ الْعَارِ
إِنَّ التَّوَقُّرَ لِلْحَيَاةِ مُكَدِّرٌ
وَالْعَيْشُ فَهُوَ تَهْتِكُ الْأَسْتَارِ
مَنْ تَابَعْتَ أَمْرَ الْمُرُوءَةِ نَفْسُهُ
فَنَيْتُ مِنَ الْحُسَرَاتِ وَالْأَفْكَارِ
لَا تُكْثِرَنَّ عَلَيَّ ، إِنَّ أَخَا الْحِجَا

بَرُمُ بَقْرَبِ الصَّاحِبِ الْمِهْذَارِ^(٣)

خَوَّفَتْنِي بِالنَّارِ جُهْدَكَ ذَائِبَا

وَلَجَجْتَ فِي الْإِرْهَابِ وَالْإِنْذَارِ^(٤)

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٩ .

(٢) جانب : باعد واجتنب . وحلم عذاره : اتبع هواه وانهمك في الفنى ، والعذار : الحياء .

(٣) الحجاء : العقل . والمهذار : الذى يهذى ويخلط في منطقة ويتكلم بما لا ينبغي .

(٤) لج : تهادى وألح .

خَوْفِي كَخَوْفِكَ غَيْرَ أَنِّي وَائِقٌ
أَقَرَرْتُ أَنِّي مُذْنِبٌ ، وَمُحَرَّمٌ
انْظُرْ إِلَى زَهْرِ الرَّبِيعِ وَمَا جَلَتْ
أَبَدْتُ لَنَا الْأَمْطَارُ فِيهِ بَدَائِعًا
مَا شَتَّ لِلزَّهَارِ فِي صَحْرَائِهِ
وَجَوَاهِرٍ لَوْ لَا تَغْيُرُ حُسْنَهَا
مِنْ أَيْضٍ يِقَقُّ وَأَصْفَرُ فَاقِعٌ
نَاحَتْ لَنَا الْأَطْيَارُ فِيهِ فَأَرْهَجَتْ^(١)
دَارٌ لَوْ اتَّصَلَ الْبَقَاءُ لِأَهْلِهَا
فَانْهَضُ بِنَا نَحْوَ السَّرُورِ فَإِنَّهُ
فَاشْرَبُ مُعْتَقَةً كَأَنَّ نَسِيمَهَا
أَخْفَى دَيْبًا فِي مَفَاصِلِ شَرْبِهَا
أَحْكَامُهَا فِي الْعَقْلِ إِنَّ هِيَ حُكْمَتْ
يَرْضَى عَلَى الْأَقْدَارِ شَارِبُهَا الَّذِي
بِجَمِيلٍ عَفْوٍ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
تَعْذِيبُ ذِي جُرْمٍ عَلَى الْإِقْرَارِ
فِيهِ عَلَيْكَ طَرَائِفُ الْأَنْوَارِ
شَهِدَتْ بِحِكْمَةِ مُنْزِلِ الْأَمْطَارِ
مِنْ دَرَاهِمٍ بِهَرَجٍ وَمِنْ دِينَارٍ^(٢)
جَلَّتْ عَنِ الْأَثْمَانِ وَالْأَخْطَارِ^(٣)
مِثْلُ الشَّمْسِ قُرْنٌ بِالْأَقْبَارِ^(٤)
عُرْسُ السَّرُورِ وَمَأْتَمُّ الْأَطْيَارِ
لَمْ يَخْفَلُوا بِنَعِيمِ تِلْكَ الدَّارِ^(٥)
مَا زَالَ يَسْكُنُ حَانَةَ الْخَمَّارِ
مِسْكٌ تَضَوُّعُهُ يَدُ الْعَطَّارِ^(٦)
وَأَدَقُّ الْطَافَا مِنْ الْمِقْدَارِ^(٧)
أَحْكَامُ صَرْفِ الدَّهْرِ فِي الْأَحْرَارِ^(٨)
مَا زَالَ ذَا سَخَطٍ عَلَى الْأَقْدَارِ

(١) البهج : الحسن .

(٢) الأخطار : القيم .

(٣) أبيض يقق : شديد البياض . (٤) أرهجت : أثارته وهيجته .

(٥) تلك الدار : أشار إليها بصيغة البعد ، لأنه يريد الآخرة ، أي أنه لو اتصل الربيع دواماً

في الدنيا ما حفل أهلها بنعيم الآخرة . (٦) تضووعه : تحركه لتتشر رائحته .

(٧) الديب : الزحف . والشرب : الشاربون . والأطاف : جمع لطف ، بضم اللام وسكون

الطاء ، وهو الصغر والدقة ، والمقدار : لعله يريد هنا الموت . يصف الخمر بأنه أدق من الموت

وأخفى سره مناه .

(٨) صرف الدهر : أحداثه ومصائبه .

وكأنها، والكأس ساطعة بها،
 لا سيما من كف أغيد شادين
 فضل الغصون لأنها من غرسنا
 قد غيب الزنار دقة خصره
 متنصر قويت على إسلامنا
 قالوا: أيصنع مثل هذا ربكم
 مع مسمع حلفت له أوتاره
 فطن يحرك كل عضو ساكن
 شدو إذا الحلاء زار حلومهم
 والشدو أحسنه الذي لم يستمع
 ذا العيش لا نعت المهامه والفلا
 لا فرج الرحمن كربة جاهل

ذوب تحلل في عقيق جاري^(١)
 يسبي العقول بطرفه السحار^(٢)
 عند التأمل، وهو غرس الباري
 حتى ظنناه بلا زنار
 بالحسن منه حجة الكفار
 ويرى فساد صنيعه بالنار ؟
 أن لا تنافر رنة المزمار^(٣)
 تحريكه لسواكن الأوتار
 باعوا بطيب الشخف كل وقار^(٤)
 إلا أطار العقل كل مطار
 وسؤال رسم الدار والأحجار^(٥)
 يسكي على الأطلال والآثار

- (١) الذوب : الذائب .
 (٢) الأغيد : الناعم المثنى . والشادن : ولد الضبي الذي قوى واستغنى عن أمه . ويسبي : يأسر .
 (٣) المسمع : المغنى .
 (٤) يرى الشاعر أن هذا الغناء بلغ من الجمال مرتبة عالية ، حتى لو سمعه العقلاء الحلاء باعوا ما يتحلون به من وقار في مقابل هذا الطيش اللذيذ الذى يسرى إليهم حين سماعه .
 (٥) المهامه : الصحارى البعيدة والبلاد المقفرة ، جمع مهمه . وكذا الفلا ، جمع فلاة .

٢٨ — خمر في الظلام^(١) :

حملت كفه إلى شفتيه
فالتقى لؤلؤا حبابٍ وثغر^(٢)
كأسه، والظلام مُرخي الإزار^(٣)
وعقيقانٍ من فمٍ وعقار

٢٩ — نيممة^(٤) :

نيمٌ بسرٍ مُستترعٍ لؤلؤما
أنتم من النُصُولِ على مشيب^(٥)
كما نَمَّ الظلامُ بسرٍ نارٍ^(٦)
ومن صافي الزُجاجِ على عقار^(٧)

٣٠ — جنون أحلى من الخمر^(٨) :

خلعتُ في حُبِّهِ عذارى
ودقتُ طعمَ الجنونِ فيه
وطاب لي العيشُ باشتهاى^(٩)
فكان أحلى من العقار
إن أبدٍ في حُبِّهِ خُضوعًا
لو كان في الحبِّ لي اختيارٌ
فليس ذلُّ الهوى بعار
لكان تركي له اختيارى
من رُوحه في يدى سواه
فهو حقيقٌ بأن يُدارى
لا تحمِدُونِي على احتمالي
هوأنه ، واحمدوا اضطبارى

(١) مصادرها : حلبة الكميت ، ظهر ص ٧٥ . ونهاية الأرب ٤ : ١١٠ . وبتيمة الدهر ١ : ٣٣٩ .

(٢) الإزار : كل ما سترك ، والملحفة . ورواية البيت في البيتة : حملت كأسه ... كفه ...

(٣) رواية الحلية : لؤلؤ الحباب .

(٤) مصادرها : نهاية الأرب ٣ : ٢٩٤ .

(٥) نم بالسر : أفشاه وأشاعه . والمسترع : الطالب منه حفظه .

(٦) النصول هنا : نصول الخضاب ، أى زواله عن المشيب . والعقار : الخمر .

(٧) مصادرها : بتيمة الدهر ١ : ٣٣٧ .

(٨) خلع عذره : اتبع هواه وتمادى في الضلال . واشتهاى : يريد شهرتى بخلع العذار .

٣١ - قَسَمُ^(١) :

بِمَا بَعَيْنِيكَ مِنْ فُتُونٍ وَمِنْ فُتُورٍ بِهَا وَسِجَرٍ^(٢)
وَبِالْعِذَارِ الَّذِي تَوَلَّى خَلَعَ عِذَارِي وَبَسَطَ عُذْرِي^(٣)
وَمَضْحَكٍ مِنْكَ لَوْلُؤِي تُمْتَزِجُ مِسْكُهُ بِخُمْرٍ^(٤)
جُدُّ لِي بِالصَّفْحِ عَنْ ذُنُوبِي أَوْ لَا ، فَعَاقِبْ بغير هَجَرٍ

٣٢ - الْخُشْخَاشُ^(٥) :

وَخُشْخَاشٌ كَأَنَّا مِنْهُ نَفَرِي قَمِصَ زَبْرَجِدٍ عَنْ جِسْمِ دُرٍّ^(٦)
كَأَقْدَاحٍ مِنَ الْبِلُورِ صِيغَتْ بَأَغْشِيَةٍ مِنَ الدِّيْبَاجِ خُضِرَ

٣٣ - الرَّازِيَانِجُ^(٧) :

أَخَذْتُ مِنْ كَفِّ الْغَزَالِ الْأَحْوَرِ غُضْنَائِمِ الْبَسْبَاسِ مَمْطُورًا طَرِيَّ^(٨)
كَأَنَّهُ فِي عَيْنِ كُلِّ مُبْصِرٍ مَذْبَذَّةٌ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَخْضَرِ^(٩)

(١) مصادرها : بقيمة ١ : ٣٤١ .

(٢) الفتون : الفتنة والاستمالة والقدرة على إثارة الإعجاب . والفتور : السكون والاسترخاء .

(٣) العذار : الموضع الذي يثبت عليه شعر اللحية من الحد . والعذار في الاستعمال الثاني : بمعنى الحياء ، وخلعه يريد به التماهى في الهوى والضلال .

(٤) المضحك : الثغر الضاحك . ووصفه بطيب الرائحة والطعم كالسك والخر ، وفي الأصل : مسكنه ، وبها يختل الوزن والمعنى .

(٥) مصادرها : نهاية الأرب ١١ : ٢٦ . وحسن المحاضرة ٢ : ٢٩٧ .

(٦) نفرى : قطع ونشق .

(٧) مصادرها : نهاية الأرب ١١ : ٨٣ .

والرازيانج نبات متعدد الأنواع (نهاية الأرب ١١ : ٨١) .

(٨) الأحور : الشديد بياض العين وسواد سوادها . والبسباس : هواسم الرازيانج في بلاد المغرب ومنها مصر . وممطورا : أصابه المطر .

(٩) المذبة : ما يذب به ، أى يدفع وينعم .

٣٤ - الآس^(١) :

خَلِيلِي مَا لِلآسِ يَعْبَقُ نَشْرُهُ إِذَا هَبَّ أَنْفَاسُ الرِّيحِ الْعَوَاطِرِ^(٢)
حِكْمِي لَوْنُهُ أَصْدَاغَ رِيْمٍ مُعَذِّرٍ وَصُورَتُهُ آذَانَ خَيْلٍ نَوَافِرِ^(٣)
٣٥ - الربيع^(٤) :

فُرْشَ الْفَضَاءِ بِأَحْمَرٍ وَبَاصْفَرٍ وَبَدَتْ لَنَا حُلُلُ الرَّبِيعِ الْمُزْهِرِ^(٥)
حُلُلُ تَعْدُّ - إِذَا اجْتَهَدَتْ - مُقْصَرًا

فِي وَصْفِهَا ، وَتَكُونُ غَيْرَ مُقْصَرٍ
هَذِي الرِّيَاضُ كَأَنَّهِنَّ عَرَائِسُ يَخْتَلِنَ بَيْنَ تَمَائِلٍ وَتَبَخُّرٍ
فِي جَوْهَرٍ فَاقَ الْجَوَاهِرَ قِيَمَةً لَوْ أَنَّهُ يَبْقَى بَقَاءَ الْجَوْهَرِ
سِرٌّ أَسْرَّ بِهِ السَّحَابُ فِي الثَّرَى^(٦)

فَأَذَاعَهُ ، فَأَذَاعَ أَحْسَنَ مَنَظَرٍ

زَمَنُ أَغْرُ فُلُو شَرِيتَ بِطِيمِهِ طِيبَ الْجِنَانِ لَكَانَ أَرْبَحَ مَتَجَرٍ^(٧)

(١) مصادرها : نهاية الأرب ١١ : ٢٤٢ . وحسن المحاضرة ٢ : ٢٩١ . ومباهج الفكر ٢٩ : ٤٢٩ . والآس سيد الرياحين ، ويعظم حتى يصير شجرا ويشمر ثمرا قدر الحمص ، وهو ثلاثة أنواع : أخضر وهو المشهور ، وأصفر وهو مافسد من ورق الأول ، وأزرق ويسمى الحسرواني ، وبعض ورقه طويل محدد وبعضه مدور . (النهاية وحسن المحاضرة) .

(٢) عبق : انتشرت رائحته . والذشر : الرائحة .

(٣) الرِّيم : الظبي الأبيض ، ويريد به الغلام . ومعذر : ثبت شعر عنده ، فهو مخضر اللون .

(٤) مصادرها : حلبة السكيت ، الورقة ٢٠٥ . ومنها بيتان في مباهج الفكر ٢٩٣ .

(٥) الزهر : ذو الأزهار .

(٦) أسر به : تحدث به سرا . وهي رواية المخطوط ، وفي المطبوع : أسرته ، أي خبايته .

(٧) زمن أغر : هني سعيد . والجنان : الفردوس . والمتجر : التجارة . يقول لو اشتري

الإنسان الربيع وترك الجنة لكان رابحا . وقد سبق له ما يقارب هذا المعنى في المقطوعة رقم ٢٧ . ورواية النسخة المطبوعة : أطيب متجر .

والسَّروُ تَشْنِيهِ الرِّيحُ لَوَاعِبًا
كَلْجُنْدِي خُضِرِ الْمَلَابِيسِ حَاوِلُوا
زَمَنُ مَتَى أَبْصَرْتَهُ وَكَفَفْتَ عَنْ
وَافَى عَلَى أَثَرِ الشِّتَاءِ كَأَنَّهُ
فَكَانَ ذَلِكَ كَانَ وَجْهَ مُهَدِّدٍ
وَرَدُّ كَوْجَنَةِ كَاعِبٍ قَدُمُوزِحَتْ
فَكَانَمَا النَّارُ تُجِى فِي أَغْصَانِهِ
وَكَانَ زَهْرُ الْبَاقِلَاءِ دَرَاهِمُ
وَكَانَهُ مِنْ فَوْقِ خُضْرِ غُصُونِهِ
وَكَانَ الْأَتْرَنْجُ أَكُوْشُ عَسَجِدٍ
وَالْتَرَجِسُ الرِّيَانُ بَيْنَ رِيَاضِهِ
وَالْجَلَنَارُ يُرِيكَ فِي أَثْوَابِهِ

مِنْ فَوْقِ جَدُولِ مَائِهِ الْمُتَفَجِّرِ^(١)
أَمْرًا ، فَبَيْنَ مُقْلَصٍ وَمُشَمَّرٍ^(٢)
خَلَعَ الْعِدَارَ بِحُسْنِهِ لَمْ تَعْذَرَ^(٣)
إِقْبَالُ جَدٍّ بَعْدَ أَمْرِ مُدْبِرٍ^(٤)
وَكَانَ هَذَا جَاءَ وَجْهَ مُبَشِّرٍ
فَتَرَاجَعَتْ خَجَلِي بِفَرْطِ تَحْيِرٍ^(٥)
أُكْرُخِرُ طَنْ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ^(٦)
قَدْ ضُمَخَتْ أَوْسَاطُهَا بِالْعَنْبَرِ^(٧)
يَرْنُو بِمَقْلَةٍ أَقْبَلِ أَوْ أَحْوَرِ^(٨)
وَلَهَا مَقَابِضُ مِنْ حَرِيرٍ أَخْضَرِ^(٩)
يَرْنُو بَعِينَ الْبَاهِتِ الْمُتَحْيِرِ^(١٠)
نَوَعَيْنِ بَيْنَ مُزَعْفَرٍ وَمُعْصَفَرٍ^(١١)

- (١) السرو : شجر قويم الساق حسن الهيئة .
(٢) المقلص والمشممر : بمعنى واحد .
(٣) خلع العذار : التماذى في اللهو والهوى . (٤) الجدد : الحظ السعيد .
(٥) الكاعب : الفتاة التي برز ثدياها .
(٦) النارنج : ضرب من الليمون . والأكر : السكرات ، جمع أكر .
(٧) الباقلاء : الفول . وضمت : لطخت . وفي مباحج الفكر : ورد الباقلاء .
(٨) البيت في مباحج الفكر وليس في الحلبة . والأقبل : الذي يقبل سواد عينيه على أنفه .
(٩) الأترنج : ثمر من جنس الليمون والعسجد : الذهب . والبيت ساقط من النسخة المطبوعة .
(١٠) الترجس : نبت من الرياحين ، وله زهر أصفر مستدير تشبه به العيون . ويرنو : يديم النظر .
(١١) الجنار : زهر رمان برى . والمزعر : المصبوغ بالزعفران . والمعصر : المصبوغ بالمعصر .
والزعفران فيه حمرة ، أما المعصر ففيه صفرة .

٣٦ — نحوى شاعر^(١):

عَلَيْكَ بِالنَّحْوِ لَا تَعْرِضْ لِمَصْنَعَتِنَا فَإِنَّ شِعْرَكَ عِنْدِي أَشْهَرُ الشُّعْرِ^(٢)
 لو كَانَ بِالنَّحْوِ قَوْلُ الشُّعْرِ مُكْتَسَبًا كَانَ الْخَلِيلُ بِهِ أَحْظَى مِنَ الْبَشْرِ

٣٧ — أرجوزة في وصف الفصول الأربعة^(٣):

يَاسَائِلِي عَنْ أَطْيَبِ الدُّهُورِ وَقَعْتَ فِي ذَاكَ عَلَى الْخَبِيرِ
 سَأَلْتَنِي : أَيُّ الزَّمَانِ أَحْلَى وَأَيُّهُ بِالْقَصْفِ عِنْدِي أَوْلَى؟^(٤)
 عِنْدِي فِي وَصْفِ الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ
 مقالة تُغْنِي اللَّيْلِبَ مُقْنَعَةً

فصل الصيف

أَمَّا الْمَصِيفُ فَلَسْتَمِعُ مَا فِيهِ مِنْ فَطْنٍ يُفْهَمُ سَامِعِيهِ
 فَصْلٌ مِنَ الدَّهْرِ إِذَا قِيلَ : حَضَرَ أَذْكَرْنَا بِحَرْهِ نَارٍ سَقَرِ^(٥)
 تُبْصِرُ فِيهِ النَّبْتَ مُقْشَعِرًا وَالْأَرْضَ تَشْكُو حَرَّهُ الْمُضْرَا^(٦)
 نَهَارُهُ مُقْسَمٌ بَيْنَ قِسَمٍ جَمِيعُهَا يُعَابُ عِنْدِي وَيُذَمُّ^(٧)

(١) مصادرها : المنصف لابن وكيع ، الورقة ٨٩ . (٢) الشهر : الفضائح ، جمع شهرة .

(٣) مصادرها : بديعة الدهر ١ : ٣٢٣ . ونهاية الأرب ١ : ١٧٩ (عدا بعض أبيات) .

وحلة السكيت ، الورقة ٢١٢ (فصل الربيع وحده) .

(٤) هذا البيت وما قبله ليسا في نهاية الأرب . والقصف : الاهو والأكل والشرب .

(٥) في البديعة : فصل من الصيف . وسقر : جهنم .

(٦) المقشع : الجاف المتغير اللون ، ورواية الشطر الأول في نهاية الأرب .

* يظل فيه القلب مقشعرا *

(٧) هذا البيت غير موجود في نهاية الأرب .

أَوَّلُهُ فِيهِ نَدَى مُبَغِّضٌ كَأَنَّهُ عَلَى الْقُلُوبِ يَقْبِضُ^(١)
يُلصِقُ مِنْهُ الْجَسْمُ بِالثِّيَابِ وَتَعْلُقُ الْأَذْيَالُ بِالتَّرَابِ^(٢)
حَتَّى تَرَاهَا مِثْلَ مَنْدِيلِ الْغَمْرِ فِيهِنَّ تَخْطِيطٌ كَتَخْطِيطِ الْحَبْرِ^(٣)
حَتَّى إِذَا مَا طَرَدَتْهُ الشَّمْسُ وَفَرِحَتْ بِأَنْ يَزُولَ النَّفْسُ
فَتَفْتَحُ النَّارُ لَهُ أَبْوَابَهَا وَشَبَّ فِيهَا «مَالِكٌ» شَهَابَهَا^(٤)
حَرٌّ يُحْمِلُ الْأَوْجُهَ الْغَرَّانَا حَتَّى تَرَى الرُّومَ بِهِ جُبْشَانَا^(٥)
يَعْلُوهُ الْكَرْبُ وَيَشْتَدُّ الْقَلْقُ وَتَنْضَحُ الْأَبْدَانُ مِنْهُ بِالْعَرَقِ^(٦)
تُبْصِرُهُ فَوْقَ الْقَمِيصِ قَدْ عَلَا حَتَّى تَرَى مُبِيضَةً مُصْنَدَلَا^(٧)
إِنْ كَانَ رِثًا زَادَ فِي تَمَزِيقِهِ أَوْ مُسْتَجَدًّا حَلَّ حَبْلَ زَيْقِهِ^(٨)
ثُمَّ يُعِيدُ الْمَاءَ نَارًا حَامِيَةً يَزِيدُ فِي كَرْبِ الْقُلُوبِ الصَّادِيَةِ^(٩)
شَارِبُهُ يَكْرَعُ فِي حَمِيمٍ كَأَنَّهُ مِنْ سَاكِنِي الْجَحِيمِ^(١٠)
يُنْسِيهِ مَا يَلْقَى مِنَ التَّهَابِ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى شَرَابِهِ

(١) رواية البيت في نهاية الأرب :

أوله فيه ندى منقص

(٢) رواية البيت في نهاية الأرب :

يلصق منه الجلد بالثياب

(٣) هذا البيت غير موحود في نهاية الأرب . والغمر : زرع الاجم ودمه . والحبر : نوع من

برود اليمن .

ويعلق التراب بالأتواب

كأنه على القلوب يقنص

(٤) مالك : حارس النار . (٥) الغران : البيض ، ويحلبها : أى يفرها سودا .

(٦) في نهاية الأرب : فيه ، في موضع : منه . وفي اليتيمة : وتنضح الابدان .

(٧) مصندل : أى بلون الصندل ، وهو شجر هندي أحمر اللون أو أصفره .

(٨) في نهاية الأرب : جد جبل زيقه ، والزيق : ما أحاط من القوب بالعنق .

(٩) الصادية : العطشى . وفي اليتيمة : الضاوية .

(١٠) يكرع : يشرب كالحيوان بعد عنقة في الماء وتناوله بغمه . والجم : الماء الساخن .

حَتَّى إِذَا عَمَّا انْقَضَى نَهَارُهُ^(١) وَأَرْخِيتَ مِنْ لَيْلِهِ أَسْتَارُهُ
تَحَرَّكَتْ فِي جُنْحِهِ دَوَاهِي سَارِيَةٍ وَأَنْتَ عَنْهَا سَاهِي^(٢)
مِنْ عَقَرٍ يَسْعَى كَسْعَى اللَّصِّ سِلَاحُهَا فِي إِبْرِ كَالشَّصِّ^(٣)
وَحَيَّةٍ تَنْفُثُ سُمًّا قَاتِلًا تَزُودُ الْمَلْدُوعَ حَتْفًا عَاجِلًا^(٤)
تُبْصِرُ مَا فِي جِلْدِهَا مِنَ الرَّقْشِ كَوْجَنَةٍ مُصَفَّرَةٍ فِيهَا نَعَشٌ^(٥)
لَوْ نَهَشَتْ بِالنَّابِ مِنْهَا الْخَضْرَا لَبَتَرَتْ مِنْهُ الْحَيَاةَ بَتْرًا^(٦)
فَإِنْ أَرَدْتَ الشَّرْبَ فِي إِبَانِهِ عَلَى الَّذِي وَصَفْتَهُ مِنْ شَانِهِ
أَبْشِرْ بِمَا شَتَّتَ مِنَ الصَّرَاعِ فَضْلًا عَنِ التَّهْوِيسِ وَالضَّدَاعِ
وَعِلَلٍ تُعْجِزُ إِحْصَاءَ الْعَدَدِ مِنْ جَرَبٍ وَمِنْ دُورٍ وَرَمَدٍ
وَبَعْدُ، حَمَى الْكِبْدَ لَا تَنْسَاهُ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا تَلْقَاهُ
وَلَا تَقُلْ إِنْ جَاءَ يَوْمًا أَهْلًا فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَضْلًا^(٧)

- (١) في نهاية الأرب : إذا أعيا . تحريف .
(٢) جنحه : ظلامه . وسارية : تسير ليلا . وفي نهاية الأرب : وأنت عنها لاهي .
(٢) في نهاية الأرب : سلاحها في إثره ، وأملها محرفة عن : إبره . والشص : الحديدة المعقوفة التي يصاد بها السمك (الصنارة) .
(٤) تنفثه : ترمى به . وفي نهاية الأرب : تزود الملسوع .
(٥) في نهاية الأرب : ما يجلدها . والرقش : النقط السوداء والبيضاء .
(٦) الخضر : صاحب موسى الذي اشتهر بطول العمر . وبترت : قطعت . ورواية الشطر الثاني في نهاية الأرب * لنثرت منه الحياة نثرا * والأبيات الأربعة الآتية ليست في نهاية الأرب .
(٧) في نهاية الأرب : فلا تقل .

فصل الخريف

حتى إذا زال أتى الخريفُ
أَهْوِيَّةٌ تُسْرِعُ فِي كُلِّ الْجَسَدِ
يُخْشَى عَلَى الْأَجْسَامِ مِنْ آفَاتِهِ
لَا يُمَكِّنُ النَّاسَ اتِّقَاءَ شَرِّهِ
تُبْصِرُهُ مِثْلَ الصَّبِيِّ الْأَرْعَنِ
فَإِنْ أَرَدْتَ الشُّرْبَ لِلْعَقَارِ
فَأَنْتَ مِنْهُ خَائِفٌ عَلَى حَذَرٍ
أَحْسَنَ مَا يَهْدِي لَكَ النَّسِيمَا
وَهُوَ عَلَى الْمَعْدُودِ مِنْ ذُنُوبِهِ
فصلٌ بكلِّ سَوَاءٍ مَعْرُوفٌ^(١)
وَهُوَ كَطْبَعِ الْمَوْتِ يُنْسَأُ وَبَرْدٌ^(٢)
فَأَرْضُهُ قَرَاءٌ مِنْ نَبَاتِهِ
مِنْ اخْتِلَافِ بَرْدِهِ وَحَرِّهِ^(٣)
فِي كَثْرَةِ التَّغْيِيرِ وَالتَّلَوْنِ^(٤)
فِي حِينِهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^(٥)
لَأَنَّهُ يَمَزُجُ بِالصَّفْوِ الْكَدْرَ
يَقْلِبُهُ فِي سَاعَةٍ سَمُومًا^(٦)
خَيْرٌ مِنَ الصَّيْفِ عَلَى عُيُوبِهِ

(١) السومة : الصفة القبيحة .

(٢) رواية البيت في نهاية الأرب :

أهونه يسرع في حل الجسد وهو كطبع الموت ييس وبرد ويريد بالشطر الثاني أنه يابس بارد كالموت ، تبعاً لنظرية الأخلاط والطبائع الأربعة عند الإغريق القدماء .

(٣) في نهاية الأرب : ولا خلاف برده وحره .

(٤) في نهاية الأرب : من كثرة العشاق والتلون .

(٥) ليس هذا البيت في نهاية الأرب . والعقار : الحر .

(٦) السموم : الريح الشديدة الحرارة .

فصل الشتاء

حتى إذا ما أقبل الشتاء جاءتك منه غمة غماء^(١)
 أقبل منه أسد مزير له وعيد وله تحذير^(٢)
 لو أنه روح لكان قدما أو أنه شخص لكان جهما^(٣)
 يأتيك في إبانهِ رياح ليس على لاغنها جناح^(٤)
 حراكها ليس إلى سكون تضرر بالأسماع والعيون
 يحدث من أفعالها الزكام هذا إذا ما فاتك الصدام^(٥)
 ثم يليها مطر مداوم كأنه خصم لنا مُلازم
 يقطعنا بغضا عن الطريق وعن قضاء الحق للصديق
 وربما خرر عليك السقف وإن عفا عنك أتك الوكف^(٦)
 هذا ، وكم فيه من المغارم وكثرة الإنفاق للدراهم
 في ملبس يدفع شر برده يكف عنا منه غرب حده^(٧)

(١) الغمة : الداهية . والغماء : الشديدة . وفي نهاية الأرب : غماء .

(٢) رواية الشطر الأول في نهاية الأرب : * يلقاك منه أسديزير * ووضع البيت بعد البيت الآتي . ومزير : أى شديد القلب قوى نافذ ، وقد زر مزاراة .

(٣) القدم : الأحق الغليظ . والجهم : العابس .

(٤) إبانهِ : وقته ، وفي نهاية الأرب في موضعها : أيامه . والجناح : الإثم .

(٥) الصدام : داء في رءوس الدواب . وقال ابن شميل : داء يأخذ الإبل فتخمس بطونها ، وتدع الماء وهي عطاش أياما ، حتى تبرأ أو تموت . ويبدو أنه يطلق على نوع من الدوار أيضا ، فيقال صدمة الحجر .

(٦) في نهاية الأرب : فإن . والوكف : الماء المتساقط قطرة قطرة من سطح البيت . والأبيات الأربعة التالية غير موجودة في نهاية الأرب .

(٧) القرب : الحد ، ويريد هنا شدته .

ملابسٌ تُعفي الجليدَ حملاً كأنما يحملُ منها ثِقلاً^(١)
يُحكي بها المنخوفُ أصحابَ السمنِ

لكن تراه سمنًا غيرَ حسنٍ

فإن أردتَ بالنهارِ شرباً فيه فقد قاسيتَ خطباً صعباً^(٢)

واحتجتَ أن توقدَ فيه النارا تطيرُ نحو الحدقِ الشرارا^(٣)

تتركُ مبيضَ الثيابِ أرقطاً تحكي السعيدى لك المنقطة^(٤)

وبعد ذا تسدّد النقابا من خوفه وتغلق الأبوابا^(٥)

نعم ، وترخى نحوه الستورا حتى ترى صباحه ديجوراً^(٦)

مُفسنٌ لونِ الرّاح فيه لا يرى لأنه صار سواً والدجى

تشربُ فيه إن شربتَ الخمرأ ليس لأن تلهو أو تسراً

لكن لتحمي خصرَ الأعضاء فشرّبها ضربٌ من الدّواء^(٧)

وإن أردتَ الشربَ في الظلام عاقلٌ عن تناولِ المدام

حسبك أن تندسَ في الأحاف من خشية^(٨) البردِ على الأطراف

ورعدة تشغلُ عن كلّ عملٍ وتؤثرُ النومَ وتستحلي الكسل^(٩)

(١) الجليد : ذو القوة والصبر والصلابة .

(٢) في نهاية الأرب : وإن أردتَ في النهار الشرباً . والخطب : السكر والامر الصعب .

(٣) في نهاية الأرب : توقد فيه ناراً . والحدق : العيون .

(٤) الأرقط : الأبيض المشوب بالسواد . والسعيدى : نوع من الثياب اليمنية .

(٥) النّقاب : الثوب ، جمع ثقب . وفي البيتمة : النّقابا .

(٦) الديجور : الظلام . وليست الآيات الثلاثة الآتية في نهاية الأرب .

(٧) الخصر : البرد يحده الإنسان في أطرافه . (٨) في البيتمة : وخشية . تحريف .

(٩) في نهاية الأرب : ورعده يشغل ... مع تذكر بقية الأفعال . وفي البيتمة المخطوطة (أدب

٨٥١ بدار الكتب) وتورث النوم .

حتى إذا ملت إلى الرقاد^(١) نمت على فرش من القناد^(٢)
 إن البراعيث عذاب مزعج^(٣) لكل ما قلب وجلد^(٤) تنضج^(٥)
 لا يستلد جنبه المضاجعا^(٦) كأنما أفرشته مباضعا^(٧)
 قبج فصلا فوق ما ذمته^(٨) لو أنه يظهر لي قتله^(٩)
 حتى إذا ما هو عنا بانا^(١٠) وزال عنا بعضه ، لا كانا!

فصل الربيع

جاء إلينا زمن الربيع^(١) فجاء فصل حسن^(٢) الجميع^(٣)
 لبرده وحره مقدار^(٤) لم يكتف حدّهما الاكثار^(٥)
 عدل في أوزانه حتى اعتدل^(٦) ومحد التفصيل منه والجمل^(٧)
 نهاره من أحسن النهار^(٨) في غاية الإشراف والإسفار^(٩)
 تضحك فيه الشمس من غير عجب^(١٠) كأنها في الأفق جام من ذهب^(١١)
 وليله مستلطف النسيم^(١٢) مقوم في أحسن التقويم^(١٣)

(١) في نهاية الأرب : حتى إذا جئت . والقناد : نبت له شوك .

(٢) رواية الشطر الثاني في نهاية الأرب :

* لكل قلب وجلد ينضج *

(٣) في نهاية الأرب : لا يستلد جلدك . وأفرشته : جعلته فراشا له . والمباضع : جمع مبضع ، وهو مشروط الجراح يشق به الجلد ونحوه .

(٤) في نهاية الأرب : تنح فصلا . أى أبعد . (٥) بان : فارق .

(٦) الكلام من هنا في حلة السكيت أيضا . وروايتها : أهدى إلينا زمن الربيع . ولن أعمل على النسخة المطبوعة ، ولن أذكر روايتها ، لأنها مليئة بالتحريف ، ولأننا اعتمدنا على المخطوطة .

(٧) في نهاية الأرب : لاكثر . واكتنفه : أحاط به .

(٨) في نهاية الأرب : في أحسن . وفي الحلبة : غاية الإشفاف . والإسفار : بمعنى الإشراف

والضياء . (٩) جام : كأس .

لَبْدَرِهِ فَضْلٌ عَلَى الْبُدُورِ فِي حُسْنِ إِشْرَاقٍ وَفَرْطِ نُورٍ
كَجَامَةِ الْبَلُورِ فِي صَفَائِهَا أَوْ غَرَّةِ الْحُسْنَاءِ فِي تَقَائِهَا^(١)
كَأَنَّهَا إِذَا دَنَتْ مِنْ نَحْوِهِ جَوَازُؤُهُ قَبْلَ طُلُوعِ فَجْرِهِ^(٢)
رُومِيَّةٌ حُلَّتْهَا زَرْقَاءُ فِي الْجِيدِ مِنْهَا دُرَّةٌ بِيضَاءُ
هَذَا ، وَكَمْ يَجْمَعُ مِنْ أُمُورٍ إِسْرَافُ مُطَرِّبِهَا مِنَ التَّقْصِيرِ^(٣)
فِيهِ تَظَلُّ الطَّيْرُ فِي تَرَنُّمٍ حَازِقَةٌ بِاللَّحْنِ لَمْ تُعَلِّمْ
غَنَاؤُهَا ذُو عُجْمَةٍ لَا يَفْهَمُهُ سَامِعُهُ وَهُوَ عَلَى ذَا يُغْرِمُهُ^(٤)
مِنْ كُلِّ دُبْسِيٍّ لَهُ رَيْنٌ وَكُلِّ قُرَيٍّ لَهُ حَيْنٌ^(٥)
فِي قُرْطُقٍ أُعْجِلَ أَنْ يُورَدَا خَاطَ لَهُ الْخِيَاطُ طَوْقًا أَسْوَدَا^(٦)
تَبْصِرُهُ مِنْهُ عَلَى الْخَيْرُومِ كَمَثَلِ عَقْدِ سَبَّحٍ مَنْظُومٍ^(٧)
هَذَا وَفِيهِ لِلرِّيَاضِ مَنْظَرُ يُفْشِي الثَّرَى مِنْ سِرِّهَا مَا يُضْمِرُ^(٨)
سِرٌّ نَبَاتٍ حَسَنُهُ إِعْلَانُهُ إِذَا سَوَاهُ زَانَهُ كِتْمَانُهُ

(١) رواية الشطر الثاني في الحلية : * أتعبت الخراز في نقائها * وفي النهاية : * أذاب الجراد في نقائها . وغرة الحسنة : بياضها .

(٢) في النهاية : دنت من بدرة . والجوزاء : نجم مؤلف من عدة نجوم صغار في وسط السماء .

(٣) البيت غير موجود في الحلية . وفي النهاية : إطرأ مطربها . والإطرأ : المدح .

(٤) وذو عجمة : أي غير فصيح ولا مفهوم . وبقمره : يشتهي .

(٥) البيت والالذان بعده غير موجود في الحلية . والدبسي : ضرب من الحمام ، وقيل : طائر صغير أدكن يقرقر ، وقيل : لأنه ذكر الحمام . والقمرى : ضرب من الحمام أيضا . والحنين : صوت يخرج من الصدر عند البكاء . (٦) القرطق : ضرب من الثياب .

(٧) هذا البيت في النهاية وحدها . والخيزوم : الصدر . والسبح : خرز أسود .

(٨) في النهاية والحلية : من سره . وبضمير : يخفى .

- فيه ضروبٌ للنباتِ الغَضِّ^(١) يحكى لباسَ الجُنْدِيدِومَ العَرَضِ^(٢)
 من نرجسٍ أبيضٍ كالثَغُورِ^(٣) كأنه نخاقُ الكافورِ^(٤)
 وروضةٌ تزهَرُ من بنفسجٍ^(٥) كأنها أرضٌ من الفيروزِجِ^(٦)
 قد لبست غلالةً زرقاءَ^(٧) فكأيدت بلونها السماءَ^(٨)
 تبصرُها كذا كل أولادها^(٩) قد لبست من حزنٍ حدادها^(١٠)
 يضحك فيها زهرُ الشقيقِ^(١١) كأنه مَـدَاهِنُ العَقِيقِ^(١٢)
 مُضْمَنَاتٍ قِطْعاً من السَّبَجِ^(١٣) فأشرق بين احمرارٍ ودَعَجِ^(١٤)
 كأنما المَحْمَرُّ في المَسْوَدِّ^(١٥) منه إذا لاح ، عِيُونُ الرُّمْدِ^(١٦)
 أما ترى أُتْرُجَهَ ما أَحْسَنَه !^(١٧) يحتالُ في غلائلِ مُبَيَّنَه^(١٨)
 وانظرُ إلى الخشخاشِ إن نظرتا^(١٩) يحكى كُراتِ ظُوهِرَتِ كَيْمَخَتَا^(٢٠)
 وازم بعينيك إلى البَهارِ^(٢١) فإنه من أَحْسَنِ الأنوارِ^(٢٢)

(١) في النهاية : لنبات الغض . وفي الحلبة المطبوعة : لباس الخيل . والغض : الأخضر الطرى . والعرض : ما نسميه الاستعراض .

(٢) في الحلبة : مخازن الكافور . والنخاق : جمع مخنقة أى فلادة محيطة بالعنق .

(٣) الفيروزج : حجر كريم أزرق . (٤) في النهاية : وكأيدت ، وفي الحلبة : وكأيدت بلبسها .

(٥) ليس هذا البيت في النهاية .

(٦) النهاية : يضحك منها . والشقيق : زهر أحمر .

(٧) النهاية : قد أشرق من . والسبج : الخرز الأسود . والدعج : سعة العين مع شدة سوادها ، ويريد هنا اللون (٨) هذا البيت والذي بعده غير موجودين في النهاية ، والأترج : نوع من الليمون .

(٩) الحلبة : لأن أردنا ، في موضع : لأن نظرتا . ظوهرت : أى جعل لها غشاء ظاهر . والكيمخت : لم أجده في المعاجم ، وهى لفظة فارسية بمعنى السكيت ، أى أحمر مائل إلى السواد .

(١٠) البهار : زهر أصفر اللون .

كَأَنَّهُ مَدَاهِنٌ مِنْ عَسَجِدٍ قَدْ سُمِّرَتْ فِي قُضْبِ الزَّبَرْجَدِ^(١)
فَانْهَضْ إِلَى اللَّهِ وَلَا تَخْلَفْ فَلَسْتَ فِي ذَلِكَ بِالْمَعْنَفِ
وَاشْرَبْ عُقَارًا طَالَ فِينَا كَوْنُهَا يَصْفَرُّ مِنْ خَوْفِ الْمَزَاجِ لَوْنُهَا^(٢)
مَنْ كَفَّ ظَنِّي مِنْ بَنِي النَّصَارَى أَلْبَابُنَا فِي حُسْنِهِ حِيَارَى^(٣)
إِذَا بَدَا جَمَالُهُ لَدَى النَّظَرِ قَالَ : تَعَالَى اللَّهُ ! مَا هَذَا بِشَرِّ !
يُبْدِي جَمَالًا جَلَّ عَنْ أَنْ يُوصَفَا لَوْ أَنَّهُ رِزْقُ حَرِيصٍ لَا كُتِفَا
تَزِينُهُ أَحْشَاءُ كَشِيعِ طَاوِيَةٍ وَسُرَّةٌ مَحْشُوءَةٌ بِالْغَالِيَةِ^(٤)
لَا سِيَّامًا مَعَ مُسْمِعٍ وَزَامِرٍ قَدْ سَلِمَا مِنْ وَحْشَةِ التَّمَاثِرِ^(٥)

دُونِكَ هَذِي صِفَةُ الزَّمَانِ مَشْرُوحَةً فِي أَحْسَنِ التَّبْيَانِ
فَأَصْنَعْ نَحْوَ شَرْحِهَا كَيْ تَسْمَعَا وَلَا تَكُنْ لِحَقِّهَا مُضَيِّعَا^(٦)
وَارْضَ بِتَقْلِيدِي فِيمَا قَلْتُهُ فَإِنِّي أَدْرِي بِمَا وَصَفْتُهُ
وَلَا تَعَارِضْنِي فِي هَذَا الْعَمَلِ فَإِنِّي شَيْخُ الْمَلَاهِي وَالْغَزَلِ^(٧)

(١) ليس هذا البيت في مخطوط الحلبة ، وهو في المطبوع . والمسجد : الذهب . وسمرت : ثبتت بالمسامير .

(٢) العقار : الخمر . والمزاج : مزجها بالماء . وهذا البيت آخر ما في الحلبة .

(٣) هذا البيت والأربعة التي بعده غير موجودة في النهاية . وألبابنا : عقولنا .

(٤) الكشع : الحصر . والطاوية : الضامرة النحيلة . والغالية : الطيب .

(٥) المسمع : الغنى . (٦) هذا البيت غير موجود في النهاية .

٣٨ - مُخَذَّتْ نِعْمَةً^(١) :

يَا جَامِعًا زَهْوَ الْمَلُو لِكِ وَلَوْ مَ أَخْلَاقِ التَّجَارِ

ارْجِعْ إِلَى الْفَقْرِ الْقَدِيمِ فَقَدْ فَسَدَتْ عَلَى الْيَسَارِ^(٢)

وَخَطَرْتُ فِي سُكْرِ الْغِنَى وَأَمِنْتُ عَاقِبَةَ الْخُبَارِ^(٣)

أَبَدَيْتَ وَجْهًا لِلْعُفَاةِ مُقْنَعًا يَقْنَاعِ عَارِ^(٤)

لَوْ أَنَّهُ لَقِيَ الْحَجَا رَ الثُّمِّ أَثَرُ فِي الْحِجَارِ^(٥)

أَوْ كَانَ تُرْسَ مُحَارِبٍ لَارْتَدَّ عَنْهُ ذُو الْفَقَارِ^(٦)

٣٩ - السَّمَاءُ لَيْلًا^(٧) :

وَالْجَوْ صَافٍ قَدْ حَكَى بِأَنْجُمِهِ فِيهِ غُرَرُ^(٨)

جَامَ زَجَاجِ أَزْرِقٍ قَدْ نُثِرَتْ فِيهِ دُرَرُ^(٩)

٤٠ - رَوْضٌ وَخَمْرُ^(١٠) :

أَسْفَرَ عَنْ بَهْجَتِهِ الدَّهْرُ الْأَغْرُ وَابْتَسَمَ الرِّوْضُ لَنَا عَنِ الزَّهْرِ^(١١)

(١) مصادرها : المنصف لابن وكيع ، الورقة ٢٣ .

(٢) في الأصل : الغريم . تحريف .

(٣) الخمار : ألم الخمر وصداها وما خالط من سكرها .

(٤) العفاة : الطالبو الفضل والعروف ، جمع عاف .

(٥) الحجار : الأحجار ، جمع حجر .

(٦) ذو الفقار : سيف العاص بن منبه ، قتل يوم بدر كافراً ، فصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم صار إلى علي .

(٧) مصادرها : نثار الأزهار في الليل والنهار لابن منظور ١٤٠ .

(٨) حكى : شابه . والفرر : المضيئة ، جمع أغر . (٩) الحام : السكاس .

(١٠) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٢٩ . ومنها أبيات في نهاية الأرب ، وحلبة السكيت ،

وحسن المحاضرة ، و. باهج الفكر . (١١) أسفر : كشف . والأغر : الأبيض السعيد .

أَبْدَى لَنَا فَصْلُ الرِّبْعِ مَنَظَرًا عَشِلَه تُفَتِّنُ أَلْبَابُ الْبَشَرِ
وَشَيْئًا وَلَكِنْ حَاكَهُ صَانِعُهُ (١) لَا لَا بَتِدَالِ الْأَبْسِ لَكِنْ لِلنَّظَرِ
عَايِنَهُ طَرْفُ السَّمَاءِ فَانْتَنَى عَشَقًا لَهُ يُبْكِي بِأَجْفَانِ الْمَطَرِ (٢)
فَالْأَرْضُ فِي زِيٍّ عَرُوسٍ فَوْقَهَا مِنْ أَدْمَعِ الْقَطَرِ نِثَارٌ مِنْ دُرَرِ (٣)
وَشَى طَوَاهُ فِي الثَّرَى صَوَانُهُ حَتَّى إِذَا مَلَّ مِنَ الطَّى نَشَرَ (٤)
أَمَّا تَرَى الْوَرْدَ كَخَدَيِّ كَلِيبٍ رَاوَدَهَا - فَاْمْتَنَعَتْ مِنْهُ - ذَكَرِ (٥)
كَأَنَّمَا الْحَمْرُ عَلَيْهِ نَقَضَتْ صِبَاغَهَا أَوْ هِيَ مِنْهُ تُعْتَصِرُ (٦)
أَخْجَلَهُ النَّرْجِسُ إِذْ جَادَلَهُ فَاحْمَرَّ مِنْ قَرْطِ حَيَاءٍ وَخَفَرِ
قَالَ لَهُ : الْعَيْنُ وَمَا أَخْلَدُ لَهَا مُوَازِنًا فِي عُظْمٍ قَدَرٍ وَخَطَرِ
مَاذَا الَّذِي يُرْجَى لَخْدٍ بِهِجٍ مُسْتَحْسِنٍ، صَاحِبُهُ أَعْمَى الْبَصَرِ؟ (٧)
فَاحْمَرَّ مِنْ حُجَّتِهِ إِذْ ظَهَرَتْ وَاحَقُّ لَا يُدْفَعُ يَوْمًا إِنْ ظَهَرَ
وَانْظُرْ إِلَى النَّارِ نَجْ فِي بِهِجَتِهِ يَلُوحُ فِي أَفْنَانِ هَاتِيكَ الشَّجَرِ (٨)
مِثْلَ دَنَانِيرِ نَضَارِ أَحْمَرٍ أَوْ كَعَقِيقِ خُرْطُتٍ مِنْهُ أَكْرَ (٩)

- (١) الوشى : الثياب الموشاة بالألوان المختلفة ، شبه بها الرياض .
(٢) في نهاية الأرب : فانتنت ... تبكى .
(٣) القطر : المطر . والنثار : ما ينثر ويفرق .
(٤) في نهاية الأرب صيانة ، في موضع : صوانه .
(٥) السكاب : الفتاة التي نهت نديها . وراودها : خادعها وطلب منها المنكر .
(٦) صباغها : لونها . (٧) بهج : جميل .
(٨) هذا البيت والذي بعده في نهاية الأرب ١١ : ١١٦ . وفيه : بهجاته .
والأفنان : الفصوص .
(٩) في النهاية : مثل دبابيس . والنضار : الذهب . والأكر : السكران .

وانظرُ إلى المُنْثُورِ في مِيدَانِهِ يَرْنُو إلى التَّنَاطُرِ مِنْ حَيْثُ نَظَرُ^(١)
 كَجَوْهَرٍ مُخْتَلِفٍ أَلْوَانُهُ أَسْمَاهُ سِلْكُ نِظَامٍ فَانْتَثَرُ^(٢)
 كَأَنَّ نَوْرَ الْبَاقِلَاءِ إِذَا بَدَا لِنَظَائِرِهِ أَعْيُنٌ فِيهَا حَوَرُ^(٣)
 كَمَثَلِ الْحَاطِظِ الْيَعَافِرِ إِذَا رَوَّعَهَا مِنْ قَانَصٍ قَرِطُ الْحَذَرِ^(٤)
 كَأَنَّهُ مَدَاهِنٌ مِنْ فَضِيَّةٍ أَوْسَاطُهَا بِهَا مِنَ الْمِسْكِ أَثَرُ^(٥)
 كَأَنَّهَا سَوَالِفٌ مِنْ خُرْدٍ قَدْ زَيَّنَتْ بِيَاضِهَا سُودَ الطَّرَرِ^(٦)
 وانظرُ إلى الْأَطْيَارِ فِي أَرْجَائِهِ إِذَا دَعَا الثَّمَا كُلُّ مِنْهَا وَصَفَرُ^(٧)

(١) هذا البيت والذي بعده موجودان في نهاية الأرب ١١: ٢٧١ ، وحسن المحاضرة ٢: ٢٩٣ . ومباهج الفكر ٤٣٥ وروته : انظر ، بدون واو . والمنثور : نبات جميل طيب الرائحة ، وساقه متينة تقرب من أن تكون خشبية مبيضة ، وتخرج منها جملة أغصان ، وأوراقه سمحية ، فيها بعض ضيق ، وله زهر مختلف ، بعضه أبيض وبعضه أصفر . ويرنو : يديم النظر والطرف ساكن ، وفي حسن المحاضرة : يدنو . (٢) أسماه : خذله ، يريد انقطع .

(٣) هذا البيت واثان بعده في نهاية الأرب ١١: ٢٢ ، وكلها مع رابعها في حسن المحاضرة ٢: ٣٠٥ ومباهج الفكر ٢٩٣ والنور : الزهر الأبيض . وفي النهاية : ورد الباقلاء . والباقلاء : الفول ، ورواية البيت في حسن المحاضرة :

ولاح نور الباقلاء ناظراً
 عن مقالة تفتح جفنا عن حور
 ورواية مباهج الفكر مثل رواية حسن المحاضرة مع تغيير نور بورد . ونسب النويرى (١١: ٢١) هذا البيت وحده إلى كشاجم .

(٤) اليعافير . الطباء التي لونها كالون التراب ، أو هي أولاد البقر الوحشى ، واحدها : يعمور . والقانص : الصائد . والبيت محرف في حسن المحاضرة . (٥) رواية البيت في حسن المحاضرة .

كأنها مداهن من فضة مجلوة فيها من المسك أثر
 وتتفق معها رواية مباهج الفكر ، مع تغيير « مجلوة » بكلمة « مجلوه » .
 (٦) اتفقت الروايتان هنا على لفظ « كأنها » مما يرجحه في البيت السابق ، ليقسق الكلام كله ، ويريد بها نور الباقلاء . والسوالف : جمع سالفة وهي صفحة العنق عند معلق القرط . والخرد جمع خريدة وهي البكر لم تمس أو الحفرة الطويلة السكوت الخفيفة الصوت . والطرر : جمع طرة ، وهي ما تقطعه الجارية في مقدم ناصيتها . والرواية في حسن المحاضرة : زينت سوادها . تحريف .
 (٧) الثاكل : من فقد ولداً أو عزيزاً عليه . وصفر : صوت .

كأنها تصفرُ في رياضها
 فأنهضُ إلى اللهو ولذاتِ الصبا
 فقلما يُغنيك من يعذل في
 فكيف هجرانُ اللذاتِ ولم
 والنسكُ في عصرِ الصبا كأنه
 يا لأمّا يعذني في طربي
 أعرفُ فضلَ العقلِ إلا أنه
 الجهلُ ينبوعُ مسراتِ الفتى
 فاجسرُ على ما تشتهي جهالةً
 واشربُ عقاراً لو أصابت حَجراً
 عدوةُ الحزنِ الذي ما ظفرت
 لو رامَ أنْ يُجيره من كَيْدها
 أرَقّها الدهرُ إلى أنْ شا كلتْ

سربُ قيانٍ فوق بسطٍ من حَبْرٍ^(١)
 لامك من يعذلُ فيها أو عذر
 ما تشتهي حتى تواريك الحفر
 يبدُ نهارُ الشيبِ في ليلِ الشعرِ؟
 من قُبْحِهِ خلَعُ عذارٍ في الكبر
 حسبك قدأ كثرَت من هذا الهذر^(٢)
 لعيش من آثره عينُ الكدر
 والعقلُ ينبوعُ الهُمومِ والفكر
 مافاز بالذاتِ إلا من جسر^(٣)
 لطار من خِفَتِهِ ذاكَ الحَجَرِ^(٤)
 قَطُّ به إلا أَساءتْ في الظفر
 صرفُ الزمانِ الحتمُ يوماً ما قدر^(٥)
 من رِقَّةٍ شِعْرٍ جميلٍ وعمر^(٦)

(١) السرب : الجماعة .

(٢) الهذر : سقط الكلام ، أو الكلام الكثير في خطأ .

(٣) أخذ قوله هذا من سلم الحاسر الذي قال :

من راقب الناس مات غماً وكان سلم قد أخذه من قول بشار بن برد :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج (٤) وهذا البيت أيضاً ينظر فيه إلى قول أبي نواس :

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لأن مسها حجر مسنه سراء .

(٥) صرف الزمان : حوادثه . وفي بعض نسخ البيهقي لو رام أن ينفقه .

(٦) يريد جميل بثينة وعمر بن أبي ربيعة شاعري الغزل .

خَفِيَّةَ الْحِيلَةِ فِي جِسْمِ الْفَتَى تُحَدِّثُ فِي الْجِسْمِ دَيْبًا وَخَدَرًا^(١)
كَأَنَّمَا الْأَوْطَارُ فِيهَا جُمِعَتْ فَلَيْسَ فِي الْعَيْشِ لَجَافِهَا وَطَرًا^(٢)
لَا سِيَّامًا مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ لَمْ يُشَنِّ بَفَرَطٍ طُولٍ لَا وَلَا فَرَطٍ قِصَرٍ
لَهُ سِهَامٌ مِنْ إِحَاطِ صَيْبٍ كَأَنَّمَا يَرْمِيَنَّ عَنْ قَوْسِ الْقَدَرِ^(٣)
مُزَرَّرٍ شَكَّ كُنِيَ فِي دِينِهِ حَتَّى أَحَلَّتْ الْكُفْرَ فِيمَنْ قَدْ كَفَرَ^(٤)
لِأَنَّهُ كَالْحُورِ فِي تَصْوِيرِهِ وَالْحُورُ لَا يُسَكِّنُهَا اللَّهُ سَقَرًا^(٥)
لَوْ لَمْ يَكُنْ زُنَارُهُ فِي وَسْطِهِ يُمَسِّكُ ضَعْفَ الْخَصْرِ مِنْهُ لَا نَبْتًا^(٦)
وَبَانَ مِنْهُ نِصْفُهُ عَنْ نِصْفِهِ لَكِنَّهُ جَاءَ لَهُ عَلَى قَدَرٍ^(٧)
إِنْ قُلْتُ : يَحْكِي قِرَاءَ عَفْنِي عَقْلٌ لَهُ أَعْدَمُهُ عِنْدَ الْقَمَرِ^(٨)
أَنِّي يُوَازِيهِ وَهَذَا نَاطِقٌ

وَذَاكَ إِنْ خُوِطِبَ لَمْ يَنْطِقْ حَصْرًا!^(٩)
يَالْكَ مِنْهُ مَنَظَرًا أَشْهَى إِلَى قَلْبِي مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ أَوْ أَسْرَرٍ
يَا طِيبَ ذِي الدُّنْيَا لَنَا مَنَزَلَةً لَوْ لَمْ نَكُنْ نَزْعَجٌ مِنْهَا بِسَفَرٍ

- (١) الدبيب : الزحف . الخدر : الفتور .
(٢) الأوطار : الحاجات ، جمع وطر . وجافها : المتبعد عنها .
(٣) الصيب : التي تصيب الهدف دائماً ، جمع صائب .
(٤) المزتر : الذي يلبس الزنار ، وهو الحزام . وأحلت : غيرت اعتقادي في كفر الكفار .
(٥) الحور : النساء ذوات العيون الحوراء ، أى الشديدة البياض والسواد ، واشتهر إطلاقها على نساء الجنة . وسقر : النار .
(٦) أنبت : انقطع .
(٧) جاء له على قدر : أى في وقته المناسب .
(٨) يحكى : يشابه . وأعدمه : لا أجده .
(٩) يوازيه : يعادله . والخصر : العنق وعدم القدرة على الكلام أو عدم الفصاحة .

السين

٤١ - فم مشتعل^(١) :

فَحْمٌ شَبَّهُ الْغُلَامَ وَأَدْلَى
كَانَ كَالْأَبْنُسِ غَيْرَ مُحَلَّى
فِي كَوَانِينِهِ حَيَاةَ النَّفُوسِ^(٢)
فَعَدَا وَهُوَ مُذْهَبُ الْآبُنُوسِ^(٣)
فَكَسَّتُهُ مُصْبَغَاتِ عُرُوسِ^(٤)
٤٢ - الحماحم^(٥) :

هَذَا الْحَمَامُ زَهْرٌ
كَأَنَّهُ حِينَ يَبْدُو
فِيهِ حَيَاةَ النَّفُوسِ
بُرَادَةٌ الْآبُنُوسِ
٤٣ - تباشير الصباح^(٦) :

غَرَدَ الطَّيْرُ فَنَبَّهَ مَنْ نَعَسَ
سَلَّ سَيْفُ الْفَجْرِ مِنْ نَحْمِ الدَّجَى
وَأَدِرْ كَأْسَكَ ، فَالْعَيْشُ خُلَسَ^(٧)
وَتَعَرَّى الصُّبْحُ مِنْ قُمْصِ الْغُلَسِ^(٨)
وَبَدَا فِي حُلَلٍ فِضِّيَّةٍ
نَالَهَا مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ دَنَسٌ^(٩)
فَاسْقِنِي مِنْ قَهْوَةٍ مِسْكِيَّةٍ
فِي رِيَاضِ عَنَبَرِيَّاتِ النَّفْسِ

(١) مصادرها : ينمية الدهر ١ : ٣٤٣ .

(٢) شبه : أوقده . وأدلى : أنزل . والكوانين : جمع كانون ، وهو الموقد .

(٣) محلى : مزين . (٤) المصبغات : الملابس ذات الألوان والأصباغ المختلفة .

(٥) مصادرها : حسن المحاضرة ٢ : ٢٩٢ . ومباهج الفكر ٤٣٢ .

والحماحم : الریحان النبطی ، وهو عريض الورق .

(٦) مصادرها : نثار الأزهار ٤٨ . والأبيات الثلاثة الأولى في نهاية الأرب ١ : ١٤٤ ،

وحلبة الكميت ، الورقة ١٩٩ .

(٧) في الحلبة : غرد القمرى . والخلس : فرص تخلس ، جمع خلصة .

(٨) الدجى : الظلام . وقص : جمع قميص . والغلس : ظلمة آخر الليل .

(٩) رواية البيت في نهاية الأرب :

وانجلى في حلة فضية ما بها من ظلمة الليل دنس

العين

٤٤ - صورة الجيب^(١) :

صَوَّرَهُ خَالِقُهُ جَامِعًا لِكُلِّ شَيْءٍ حَسَنٍ بَارِعٍ
وَكُلُّ حُسْنٍ مِنْ جَمِيعِ الْوَرَى مُخْتَصَرٌ مِنْ ذَلِكَ الْجَامِعِ

٤٥ - نصيحة^(٢) :

لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ الرَّشِيدِ كَلَامَهُ وَإِذَا دَعَاكَ أَخُو الْغَوَايَةِ فَاسْمَعْ^(٣)
وَدَعْ التَّزَهُدَ وَالتَّجَمُّلَ لِلْوَرَى فَالْعَيْشُ لَيْسَ يَطِيبُ لِلْمُتَوَرِّعِ^(٤)

الفاء

٤٦ - مزج الخمر بالماء^(٥) :

كَأَنَّهَا فِي الْكُثُوسِ إِذْ جُلِيتَ مِنْ عَسَجِدٍ رَقٌّ لَوْ نُهَ وَصَفَا^(٦)
أَغْضَبَهَا الْمَاءُ حِينَ مَازَجَهَا فَأَزْبَدَتْ فِي كُثُوسِهَا أَنْفَا^(٧)

(١) مصادرها : بقيمة الدهر : ٣٣٩١ .

(٢) مصادرها : حلبة السكيت ١٢٣ (النسخة المطبوعة) وهي لامية القافية في النسخة المخطوطة ، وفي مراجع أخرى . انظر للمقطوعة رقم ٥٩ .

(٣) الرشيد : المهتدى والمستقيم في طريق الحق . والغواية : الضلال .

(٤) التجمل : الصبر على الدهر . والورى : الناس .

(٥) مصادرها : وفيات الأعيان ٤ : ٣٣٣ ، تحقيق رفاعي ، في الحواشي من إضافة السيد أحمد يوسف نجاتي .

(٦) جليت : أظهرت . والمسجد : الذهب .

(٧) أزبدت : أخرجت زبدتها غضبا ، يريد به الحباب . والأنف : الكبرياء .

٤٧ - إسراف الحبيب^(١) :

تَجَاوَزَ الْإِسْرَافَ فِي ظُلْمِهِ حَتَّى لَقَدْ هَمَّ بِإِسْرَافِهِ
فَتَغَرَّرَهُ مَظْلُومٌ مِسْوَاكِه وَخَصَرُهُ مَظْلُومٌ أَرْدَافِهِ
مَنْ ظَلَمَهُ جَارٌ عَلَى نَفْسِهِ كَيْفَ أَرْجَى حُسْنَ إِنْصَافِهِ؟

القـاف

٤٨ - هجاء^(٢) :

أَنْأَسُ إِذَا غَابُوا رَمَتْكَ سِهَامُهُمْ وَخَصَّكَ مِنْهُمْ فِي الْخُضُورِ التَّمْلُقُ
غُرُورُ لِقَاءٍ قَدْ تَبَيَّنَتْ زُورُهُ فَأَصْبَحَ عِنْدِي بَائِرًا لَيْسَ يَنْفُقُ^(٣)
وَإِنْ أَمْرًا نَالَتْ يَدَاهُ كِفَايَةً وَلَا زَمَ فِيهِمْ يَتَّهَ ، لَمْوُفَقُ

٤٩ - سلوى^(٤) :

سَلَا عَنْ حُبِّكَ الْقَلْبُ الْمَشُوقُ فَمَا يَصْبُو إِلَيْكَ وَلَا يَتَوَقُّ
جَفَاؤُكَ كَانَ عَنْكَ لَنَا عَزَاءُ وَقَدْ يُسْلِي عَنِ الْوَلَدِ الْعُقُوقُ

(١) مصادرها : المنصف لابن وكيع ، الورقة ٨٦ .

(٢) مصادرها : رسالة ابن وكيع ، لمحمد الحنفى ذهني ، ص ٤٢ .

(٣) ينفق : يروج ويرغب الناس فيه .

(٤) مصادرها : بتيمة الدهر ٣٤٠ . وحرارة الجنان ٢ : ٤٤٥ .

٥٠ — معشوق^(١) :

عَشَقْتُ مَنْ لَا أَلَامُ فِيهِ وَمَا يَخْلُو مِنَ اللَّوْمِ كُلُّ مَنْ عَشِقَا
رَأَى الْوَرَى فِي سِوَاهُ مُخْتَلِفٌ وَأَنْتَ تَلْقَاهُ فِيهِ مُتَّفِقَا
وَكُلُّ قَلْبٍ إِلَيْهِ مُنْصَرِفٌ كَأَنَّهُ مِنْ جَمِيعِهَا خُلِقَا

قال الثعالبي : ألم فيه بقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي :
« خلق من كل قلب ، فهو يغنى كلا ما يشتهي » .

٥١ — المطر والرعد والبرق^(٢) :

وَسَحَابٍ إِذَا هَمَى الْمَاءُ فِيهِ أَلْهَبَ الرَّعْدُ فِي حَشَاهُ الْبُرُوقَا^(٣)
مِثْلُ مَاءِ الْعَيُونِ لَمْ يَجْرِ إِلَّا ظَلَّ يُذْكَى عَلَى الْقُلُوبِ حَرِيقَا

٥٢ — متى يطيب الصَّبُوحُ^(٤) ؟

قُمْ فَاسْقِنِي صَافِيَةً تَهْتِكُ جُنْحَ الْفَسَقِ!^(٥)
أَمَّا تَرَى الصُّنْحَ بَدَا فِي ثَوْبٍ لَيْلٍ خَلَقِ؟^(٦)
أَمَّا تَرَى جَوَازَاءَهُ كَأَنَّهَُا فِي الْأَفْقِ^(٧)
مِنْطَقَةٌ مِنْ ذَهَبٍ فَوْقَ قَبَاءٍ أَزْرَقِ

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٩ والنصف ، الورقة ١١٠ .

(٢) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٢٣٨ . وحلبة الكميت ، الورقة ١٨٨ . وتزين الأسواق

٢١٢ . ودويان الصباية لابن أبي حجلة ١٤٩ .

(٣) همى ، -ال وجرى بكثرة . وفي رواية اليتيمة : ألفت الرعد . . تحريف .

(٤) مصادرها : نهاية الأرب ١ : ٦٦ .

(٥) تهتك : نقطع ونفصع . وجنح الفسق : القطعة منه . والفسق : ظلمة أول الليل

والشاعر يريد هنا الفسق ، الذي هو ظلام آخر الليل .

(٦) الخنق : القديم البالي . (٧) الجوزاء : نجم معترض في وسط السماء .

٥٣ - مزج الخمر بالماء^(١) :

وَصَفَرَاءُ مِنْ مَاءِ الْكُرُومِ كَأَنَّهَا

فِرَاقُ عَدُوٍّ أَوْ لِقَاءُ صَدِيقٍ

كَأَنَّ الْحَبَابَ الْمُسْتَدِيرَ بِطَوَافِهَا

كَوَاكِبُ دُرٍّ فِي سَمَاءٍ عَقِيقِ

صَبَّيْتُ عَلَيْهَا الْمَاءَ حَتَّى تَعَوَّضَتْ

قَيْصَ بَهَارٍ مِنْ قَيْصِ شَقِيقِ^(٢)

٥٤ - صورة الحبيب^(٣) :

جَوْهَرِيٌّ الْأَوْصَافِ يَقْصُرُ عَنْهُ

كُلُّ وَصْفٍ لِكُلِّ ذَهْنٍ ذَقِيقِ

شَارِبٌ مِنْ زَبْرَجِدٍ ، وَثَنَايَا

لَوْلُؤٍ ، فَوْقَهَا فَمٌ مِنْ عَقِيقِ

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٩ . ونهاية الأرب ٤ : ١١٦ . والمستطرف ٢ : ٩٨٠ .

(٢) البهار : الأفجوان الأصفر . الشقيق : ذو ألوان كثيرة اشتهر منها الأحمر . ويريد الشاعر أن الخمر حين مزجها بالماء ، خلعت قيصها الأحمر ، وارتدت آخر أصفر .

(٣) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٨ .

الكاف

٥٥ — عودة إلى اللهو^(١) :

عُدْتُ إِلَى الْغَىِّ بَعْدَ نُسْكِي وَلَدَّ لِي فِيكَ طَعْمُ مَحْكِي^(٢)
أَضْحَكُ لِلْكَاشِحِينَ جَهْرًا وَلِي ضَمِيرٌ عَلَيْكَ يَبْكِي^(٣)
تَمْنَعْنِي أَنْ أَبُوحَ نَفْسِي تَأْنَفُ مِنْ ذِلَّةِ التَّشْكِي
عَيْنِي الَّتِي أَوْقَعْتُ فُؤَادِي يَاعَيْنُ مَاذَا لَقِيتُ مِنْكَ !؟

اللام

٥٦ — خمرية^(٤) :

عَلَّ فُؤَادُكَ وَالذُّنْيَا أَعَالِيلُ لَا يَشْغَلُنْكَ عَنِ اللَّهِوِ الْبَاطِيلُ^(٥)
وَلَا يَصُدُّنْكَ عَنْ أَمْرِ هَمَمْتَ بِهِ مِنْ الْعَوَازِلِ لَا قَالَ وَلَا قِيلُ
فَخَيْرُ يَوْمَيْكَ يَوْمٌ أَنْتَ فِيهِ إِذَا مُيزْتَ فِي النَّاسِ مُحَمَّدٌ وَمَعْدُولُ
وَإِنْ أَتَوَكَ فَقَالُوا : كُنْ خَلِيفَتَنَا فَقُلْ لَهُمْ : إِنَّنِي عَنْ ذَاكَ مَشْغُولُ
فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مَعَ نَفَاسَتِهِ وَتُبْلِهِ بِفَنَاءِ الْعُمْرِ مَوْصُولُ
وَأَرْضُ الْحُمُولِ فَلَا يَحْظِي بِلَذْتِهِ إِلَّا أَمْرٌ وَخَامِلٌ فِي النَّاسِ مَجْهُولُ

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤١ .

(٢) الغي : الضلال والمجون . والحك : النزاع في الكلام والتأدي في الحاجة .

(٣) الكاشح : العدو الذي يخفي العداوة . والضمير : الأمر الباطن الخفي .

(٤) مصادرها يتيمة الدهر ١ : ٣٣٢ .

(٥) علل فؤادك : اشغله . والأعاليل : ما يشغل به المرء نفسه ، جمع أعلولة .

وَلَا تَبِعْ عَاجِلَ الدُّنْيَا بِأَجَلٍ مَا تَرْجُو فَذَلِكَ أَمْرٌ شَأْنُهُ الطُّولُ
 اسْفِكَ دَمَ الْقَهْوَةِ الصَّهْبَاءِ تَحْيَ بِهِ رَوْحِي فَإِنَّ دَمَ الصَّهْبَاءِ مَطْلُولٌ ^(١)
 يَخَافُ الْإِثْمَ فِيهَا حِينَ يَشْرِبُهَا لَا تَقْنَطَنَّ فَمَقْوُ اللَّهِ مَأْمُولٌ ^(٢)
 قُمْ فَاسْقِنِي النَّصَّ مِمَّا حَرَّمُوهُ وَلَا تَعْرِضْ لِمَا كَثُرَتْ فِيهِ الْأَقَاوِيلُ ^(٣)
 مِنْ قَهْوَةٍ عَتَّقَتْ فِي دَنَاهَا حَقَبًا كَأَنَّهَا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ قِنْدِيلٌ ^(٤)
 عَرُوسٍ كَرِيمٍ أَتَتْ تَحْنَالُ فِي حُلِيلِ

صُفْرِ عَلَى رَأْسِهَا لِلْمَزَجِ الْكَامِلِ
 كَأَنَّهَا بَأْكَفُ الْقَوْمِ إِذْ جُلِيَتْ ذَوْبٌ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ مَحْلُولٌ ^(٥)
 فِي فِتْيَةٍ جَعَلُوا لِلَّهِ طَاعَتَهُمْ فَلَهُمْ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ مَعْدُولٌ ^(٦)
 جَلِيسُهُمْ لَيْسَ يَرَوِي مِنْ حَدِيثِهِمْ

يَوْمًا وَبَعْضُ حَدِيثِ الْقَوْمِ مَمْلُولٌ
 لَا كَالَّذِينَ إِذَا مَا كُنْتَ حَاضِرَهُمْ فِي سُكُوتِهِمْ أَلَمْ أُمُولُ وَالسُّوْلُ ^(٧)
 تَرَى مَجَالِسَهُمْ مَمْلُوءَةً لِحَبَا وَكُلُّ ذَاكَ فُضُولٌ عَنْكَ مَعْرُوْلٌ ^(٨)

-
- (١) القهوه هنا : الخمر . والصبهاء : ما فيها حمرة أو شقرة ، وهي من صفات الخمر المشهورة .
 ومطلول : مهدر .
 (٢) تقنط : تيأس .
 (٣) يقول : اسقني الخمر التي نص الفقهاء جميعا على تحريمها ، ولا تسقني النبيذ أو ما شاكله
 مما اختلفوا فيه بين تحليل وتحريم .
 (٤) الدن : وعاء كبير للخمر .
 (٥) جلبيت : أظهرت . والذوب : الذائب الجارى . والإبريز : الخالص . والمحلول : السائل .
 (٦) معدول : أى انحراف وانصراف .
 (٧) السؤل : مخففة من السؤل بالهمز ، وهو ما يسأل ويؤمل فيه . (٨) اللجب : الجلبة .

٥٧ — دعوة على المحبوب^(١) :

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا بِي وَأَنْتَ لَسْتَ تُبَالِي^(٢)
فَصَارَ قَلْبُكَ قَلْبِي وَصِرْتَ فِي مِثْلِ حَالِي !
بَلْ عِشْتَ فِي طِيبِ عَيْشٍ تَقِيكَ نَفْسِي وَمَالِي !^(٣)
دَعَوْتُ إِذْ صَاقَ صَدْرِي عَلَيْكَ ثُمَّ بَدَأَ لِي^(٤)

٥٨ — المِشْمَشُ^(٥) :

بَدَأَ مِشْمَشُ الْأَشْجَارِ فِيهَا كَأَنَّهُ

يَلُوحُ عَلَى خَضِرِ الْفُصُونِ الْمَوَائِلِ
قَبَابٌ بِمُخَضَّرِ الرِّيحِ غَشِيَتْ وَقَدْ زَيَّنَتْ مِنْ عَسْجَدٍ مَجْلَاجِلِ^(٦)

٥٩ — خَمْرِيَّةٌ^(٧) :

لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ الرَّشِيدِ كَلَامَهُ وَإِذَا دَعَاكَ أَخُو الْغَوَايَةِ فَاقْبَلِ
وَدَعَ التَّرَمُّتَ وَالتَّجَمُّلَ لِلْوَرَى فَالْعَيْشُ لَيْسَ يَطِيبُ بِالْمُتَجَمِّلِ

(١) مصادرها : النصف ، الورقة ٦٢ . وتزيين الأسواق ٢١٠ . وديوان الصبابة ١٤٧ . ✓

(٢) في تزيين الأسواق وديوان الصبابة : وَأَنْتَ بِي لَا تَبَالِي .

(٣) في التزيين وديوان الصبابة : تَفْدِيكَ نَفْسِي .

(٤) بدال : أَي بَدَأَ لِي بِدَاءٍ ، وَرَجُوعٌ عَنْ هَذَا الدَّعَاءِ .

(٥) مصادرها : حلبة السكيت ، ظهر الورقة ١٤١ ونسبتها المطبوعة « لآخر » .

(٦) غشيت : غطيت . والمسجد : الذهب . والجلاجل : الأجراس الصغيرة ، جمع جاجل .

(٧) مصادرها : يثيمة الدهر ١ : ٣٤٢

وورد البيتان الأولان في النسخة المخطوطة من حلبة السكيت ، برواية أخرى جعلت العين

قافية لهما . انظر المقطوعة رقم ٤٦ .

وَأَشْرَبَ مِنْ عَفْرَةِ الْقَمِيصِ سُلَافَةً
 كَأْسٍ إِذَا رَمَتْ أَلْهُمُومٌ بِسَهْمِهَا
 تَحَلُّوْا وَتَعَذِّبُ فِي النَّفُوسِ كَأَنَّهَا
 حَمْرَاءُ يَرْحُبُ كُلُّ صَدْرٍ ضَيْقِ
 تَحْكِي ضِرَامَ النَّارِ إِلَّا أَنَّهَا
 لَا سِيَّامٍ مِنْ كَفِّ طَاوِيَةِ الْحَشَا
 مِنْ صُنْعَةِ الْبَرَادِنِ أَوْ قُطْرُبُلٍ^(١)
 لَمْ يُخْطِ نَافِذُهُ سَوَاءَ الْمَقْتَلِ^(٢)
 كَبَتِ الْعَدُوَّ وَرَغِمَ أَنْفِ الْعُدَلِ
 مَعَهَا ، وَيُفْتَحُ كُلُّ بَابٍ مُقْفَلِ
 نَارَ لَعْمَرُكَ لَيْسَ تُؤْذِي الْمُصْطَلِيَّ^(٣)
 تَرْنُوْا بِنَظَرَتِي خَذُولِ مُطْفِلٍ^(٤)

٦٠ - روض^(٥) :

يَوْمٌ أَتَاكَ بِوَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ
 خَلَعَ الْغَمَامَ عَلَى اخْضِرَارِ سَمَائِهِ
 وَعَلَا عَلَى الْأَشْجَارِ قَطْرُ سَمَائِهَا
 نَاهِيكَ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَّ مُحَجَّلٍ^(٦)
 خِلْعًا قَبِينَ مُمَسَّكِ وَمُصْنَدِلٍ^(٧)
 فَبَدَتْ لَعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَمَامِلِ^(٨)

(١) الزعفرنة : المصبوغة بالزعفران . والسلافة : الحمر . والبردان : مواضع كثيرة لم أرمنها ما اشتهر بالحمر ، ولعله يريد القرية التي على سبعة فراسخ من بغداد ، وتسمى بهذا الاسم . وقطربل قرية بين بغداد وعكبراء ، ينسب إليها الحمر ، وكانت متنزها للبطالين ، وحانة للخمارين .

(٢) المقتل : الموضع الذي إذا أصيب فيه الإنسان قتل من فوره . وسواؤه : وسطه .

(٣) تحكي : : تشابه . وضرام النار : اتقاده . والمصطلي : المستدفئ بالنار .

(٤) طاوية الحشا : هيفاء ضامرة . وترنو : تديم النظر بعين ساكنة . والخذول : الظبية المتخلفة عن صواحبها ، المقيمة على طفلها . والمطفل : ذات الأطفال . شبه بها عيون الساقية ، لأن هذه الظبية أجل ما تكون نظراتها حين ترنو إلى أطفالها في حب وحنان .

(٥) مصادرها : حلبة الكميت ، ظهر الورقة ٢٠٩ .

(٦) المتهلل : المشرق سرورا . والأغر : الجميل المشرق . والمجمل : الفرس الذي ابيضت قوائمها ، ويريد هنا وصف اليوم بالإشراق والضياء .

(٨) الخلع : الثياب التي تغطي للآدمي من ثيابه ، جمع خلعة . والممسك : المطيب بالمسك . والمصنديل : المطيب بالصندل ، وهو شجر هندي طيب الرائحة .

(٨) القطر : المطر .

تَحْكِي قَبَابَ زَبْرٍ جَدُّ كَلَّتْ بِمُنْظَمٍ مِنْ لَوْ لَوْ وَمُفَصَّلٍ^(١)
وَأَتَاكَ زَهْرُ الْبَاقِلَاءِ كَأَنَّهُ

يَرْنُو إِلَيْكَ بِطَرْفٍ أَغْيَدَ أَكْهَلٍ^(٢)
وَالْوَرْدُ يَنْجَلُ كُلَّ نَوْرٍ طَانِعٍ^(٣)
وَحَكِي بِيَاضُ الطَّلِّ فِي كَافُورِهِ^(٤)
وَتَغَرَّدَتْ أَطْيَارُهُ فَحَسَكَتْ لَنَا^(٥)
مِنْ كُلِّ صَافِيَةِ الصَّفِيرِ إِذَا دَعَتْ^(٦)
وَكَا نَمَّا الدُّنْيَا عَرُوسٌ أَقْبَلَتْ^(٧)
فِي كُلِّ أَنْوَاعِ الْمَلَابِسِ تَنْجَلِي^(٨)

٦١ - قَسَمَ^(٨) :

لا ، وَوَجْهٍ لَكَ يُبْدِي صَفْحَةَ السَّيْفِ الصَّقِيلِ^(٩)
وَسَوَادِ الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ فِي اخْتِدِّ الْأَسِيلِ^(١٠)

(١) تحكى : تشبه . وكلت : توجت . والمنظم : الخيط في سلك دون فاصل . والمفصل : الذى بين حياته فواصل .

(٢) الباقلاء : القول . والطارف : العين . والأغيد : المثنى اللين الأعطاف . والأكهل : الأسود منابت شعر الأحفان خالقة ، كأنه يضع الكحل .

(٣) النور : الزهر الأبيض . والمنتقب : لابس النقاب . وكل نور : منصوب بإسقاط الجار .
(٤) الطل : الندى . والحريدة : الفتاة البكر أو الحفرة الحفيضة الصوت . والحمار : القناع . وصفه بالصندل فى اللون .

(٥) معبد : هو معبد بن وهب أو ابن قطني ، إمام أهل المدينة فى الفناء . منه من الصرف لضرورة الشعر . والتقبيل الأول : أحد الألحان .

(٦) الصنج : آلة موسيقية وترية . والجلجل الجرس الصغير .

(٧) تنجلي العروس : تظهر زينتها .

(٨) مصادرها : المنصف ، الورقة ٧٠ .

(٩) الصقيل : المصقول المحلو ، شبه خده الناعم المشرق بذلك السيف .

(١٠) الأسيل : الطويل الناعم الأملس .

٧٧٨/٤
المجلد
العدد

وَعَيُونِ لَكَ لَا تَطْرِفُ إِلَّا عَنْ قَتِيلِ

مَا جَمِيلُ الصَّبْرِ عَنْ مِثْلِكَ عِنْدِي بِجَمِيلِ

٦٢ - حبيب بخيل^(١) :

قَدْ رَضِينَا مِنَ الْغَزَالِ الْكَحِيلِ بَعْرُورِ الْعِدَاتِ وَالتَّعْلِيلِ^(٢)

وَهَجَرْنَا سِوَاهُ وَهُوَ مُنِيلٌ وَهُوَ يَنَاهُ وَهُوَ غَيْرُ مُنِيلِ^(٣)

فَكثِيرُ الْبَغِيضِ غَيْرُ كَثِيرِ وَقَلِيلُ الْحَبِيبِ غَيْرُ قَلِيلِ

يَا عَذُولِي زَعَمْتَ صَبْرِي صَوَابًا وَطَرِيقَ الصَّوَابِ غَيْرُ مُخِيلِ^(٤)

هَلَاكَ الْعَزْمُ بَيْنَ شَوْقٍ صَحِيحٍ أَنَا فِيهِ وَبَيْنَ صَبْرٍ عَلِيمِ

لَا تَعِبْ مِنْ هَوَيْتُ بِالْبُخْلِ إِنِّي لَا أَحِبُّ الْحَبِيبَ غَيْرَ بَخِيلِ

يَجْمَلُ الْبُخْلُ بِالْمَلَاكِ وَإِنْ كَا نَ بَغِيرِ الْمَلَاكِ غَيْرَ جَمِيلِ

كُلُّ مَنْ سَرَّهُ حَبِيبٌ جَوَادٌ فَلْتَطِبْ نَفْسُهُ بَقَرْنِ طَوِيلِ

٦٣ - أعظم أمانى الشاعر^(٥) :

أَسْنَى الْأَمَانِي كُلِّهَا وَأَجَلُّ مِنْهَا مَا يُنَالُ

كَأْسٌ وَمُسَمِّعَةٌ وَإِخْوَانٌ تَحَادِثُهُمْ وَمَالٌ^(٦)

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٦ .

(٢) الكحيل : الأسود منابت شجر الجفون ، كأنه يضع عليها الكحل . والغرور : الخادع والعدات : الوعود . التعليل : التلهي وشغل النفس .

(٣) المنيل : المطلى .

(٤) الخيل : الذى ينتظر منه الخير .

(٥) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤٠ .

(٦) السمعة . الغنية .

الميم

٦٤ - خمرة^(١) :

اشرب فقد طابت المدام
من قهوة حرمت علينا
جلت عن الوصف فهي شيء
إذا استندم الأسى إليها
طوقها الماء سمط در
كانها تحته كُميت
إذا بدت للهموم ظلت
تلوذ منها فلا لواذ
في فتية كلهم كريم
يكسد سوق الفتاة فيهم
أئمة كلهم عليم
لكنني فيهم على ما
وافتر عن ثغره الغمام^(٢)
والصبر عن مثلها حرام^(٣)
يدق عن شأنها الكلام
فأله عندها ذمام^(٤)
ليس لمشوره نظام^(٥)
عليه من فضة لجام^(٦)
وهي لأعظامها قيام
ينفع منها ولا اعتصام^(٧)
وخير من يصحب الكرام
ظرفاً ، ولا يكسد الغلام
بكل ما فعله أئام
وصفت من فضلهم إمام

(١) مصادرها : بنية الدهر ١ : ٣٣٣ .

(٢) المدام : الخمر . وافتر : ابتسم .

(٣) القهوة : الخمر .

(٤) استندم إليها : طلب منها الزمام والحماية ، يريد أنها لا ترعى له حرمة ، وإنما تبطش به .

(٥) السمط : العقد . والنثور : المنتثر المتفرق .

(٦) الكُميت : الفرس الأسود يعيل إلى الحمرة .

(٧) تلوذ : تخبئ وتلجأ . واللواذ : الالتجاء والاعتصام .

وعندنا شادنٌ غريرٌ في لحظٍ أجفانه سقامٌ^(١)
 للحسنِ قدامه جيوشٌ للصَّبرِ قدامها انهزام
 يخفٌ في حبه التصابي كمثل ما يثقل الملام^(٢)
 ذا العيش : فافطن له وبادر من قبل أن يفطن الحمام^(٣)
 وانعم فعام السرور عندي يومٌ الهوم عام
 ٦٥ — الربيع^(٤) :

الست ترى وشي الربيع المنمما وما رصع الربيعي فيه ونظما^(٥)
 فقد حكت الأرض السماء بنورها فلم أدر في التشبيه أيهما السما^(٦)
 فخضرتها كالجو في حسن لونه وأنوارها تحكي لعينيك أنجما
 فمن ترجس لما رأى حسن نفسه تداخله عجب بها فتبسما^(٧)
 وأبدى على الورد الجني تطاولاً فأظهر غيظ الورد في خده دما^(٨)
 وزهر شقيق نازع الورد فضله فزاد عليه الورد فضلا وقدما^(٩)

(١) الشادن : ولد الظبية الذي قوى واستغنى عن أمه . والغرير : غير المحرب . والسقام هنا : الفتور .

(٢) التصابي : الميل إلى اللهو واللاعب .

(٣) الحمام : الموت . ويبدو أن هذه القصيدة نظمها الشاعر في كبره ، بدليل توقع الحمام ، ولفظ التصابي السابق .

(٤) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٦ .

(٥) الوشي : الثوب الكثير الألوان ، ويريد هنا الورد المختلفة . والمنعم : المزخرف المزين . والربيعي : المنسوب إلى الربيع ، ويريد كل ما يظهر فيه من نبات وزهر .

(٦) النور : الزهر الأبيض .

(٧) الموجب : الكبرياء والإعجاب بالنفس . (٨) الجني : الناضج المكتمل والرطب .

(٩) الشقيق : زهر أهر . وقدم : سبق .

وظَلَّ لَقَرَطِ الْحَزَنِ يَلْطِمُ خَدَّهُ
وَمِنْ سَوْسَنِ لِمَا رَأَى الصَّبْغُ كُلَّهُ
تَجَلْبَبَ مِنْ زُرْقِ الْيَوَاقِيتِ حُلَّةَ
وَالْوَانِ مَشْتُورٍ تَخَالَفَ شَكْلُهَا
جَوَاهِرُهُ لَوْ قَدْ طَالَ فِينَا بَقَاؤُهَا
فَقُمْتُ فَاسْقِنِي مَا حَرَمُوهُ فَمَا أَرَى
٦٦ — مغالطة (٤) :

فَهَمَّ غَالِطٌ مِنِّي فَهَمًا
مُقْسِمٌ مَا بَلَغَتْهُ عِلَّتِي
كَيْفَ لَمْ يَبْلُغْهُ عَنِّي سَقَمِي
رُزْقِ الْمَظْلُومِ مِنَّا رَحْمَةً !
٦٧ — جواب دعوة (٧) :

يَا بَاعِثًا لِدَعْوَتِي غَلَامَهُ
إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُزَارَ فِي غَدٍ
وَعَاتِبًا مِنْ تَرَ كُنَّا إِلِمَامَهُ
فَلَا تُغَالِ فِي الطَّعَامِ وَاقْصِدِ

(١) الصبغ : اللون .
(٢) المشور : نبات ذو زهر ذكي الرائحة .
(٣) تحتم بها : اتخذها خاتماً له .
(٤) مصادرهما : المنصف ، الورقة ٦٢ . وديوان الصبابة ١٤٧ .
(٥) في ديوان الصبابة : مقسماً . (٦) هذا البيت ليس في ديوان الصبابة .
(٧) مصادرهما : يتيمة الدهر ١ : ٣٢٨ . ومنها ثلاثة أبيات في نهاية الأرب ١١ : ٥٩ .
ومباهج الفكر ٣١٨ .
(٨) إلمام : زيارة .

وَاعْمِدْ إِلَى مَا أَنَا مِنْهُ وَاصِفٌ
ابْعَثْ فَخُذْ عَشْرًا مِنَ الرُّقَاقِ
تَكَادُ مِمَّا رَقَّ مِنْ خِرَشَائِهَا
أَرْقَهَا الصَّانِعُ حَتَّى خَفَّتِ
تَكَادُ لَوْلَا حِدْقُهُ فِي صَنْعَتِهِ
حَتَّى أَتَتْ فِي صُورَةِ الْبُدُورِ
حَتَّى إِذَا فَرَّغَتْ مِنْهَا مُتَقِنًا
فَاعْمِدْ إِلَى مُدَوَّرٍ مِنَ الْبَصَلِ
يَكْبَى لِعَيْنَيْكَ أَخْضَرَ أَقْشَرِهِ
غَلَاثِلًا خُضْرًا عَلَى جَسُومِ
حَتَّى إِذَا أَحْكَمْتَهُ تَقْطِيعًا
خَلَطْتَهُ بِاللَّحْمِ خَلْطًا جَيِّدًا
حَتَّى إِذَا أَنْتَ أَجَدْتَ فِعْلَهُ
فَإِنِّي بِالطَّيِّبَاتِ عَارِفٌ
تَلَذُّهَا نَوَاطِرُ الْأَحْدَاقِ^(١)
تَشِفُّ لِلْأَعْيُنِ مِنْ صَفَائِهَا^(٢)
وَلَطْفَتِ أَجْسَامُهَا وَمُدَّتِ
تُطِيرُهَا أَنْفَاسُهُ مِنْ رَاحَتِهِ
أَوْ مِثْلَ جَامَاتٍ مِنَ الْبُلُورِ^(٣)
وَلَمْ يَرَ الْعَائِبُ فِيهَا مَطْعَنًا
فَإِنَّهُ أَكْبَرُ أَعْوَانِ الْعَمَلِ^(٤)
إِذَا رَمَاهُ نَاطِرٌ بِفِكْرِهِ^(٥)
يَبِضُّ رَطَابٍ مِنْ بَنَاتِ الرُّومِ^(٦)
وَقُلْتُ : قَدْ جَوَّدْتَهُ صَنِيعًا
وَلَمْ تَزَلْ تَخْلِطُهُ مُرَدًّا
ثُمَّ جَمَعْتَ فِي الرُّقَاقِ شَمْلَهُ

(١) الرقاق : الخبز الرقيق، جمع رقاقة . وفي الاصل المطبوع : الرقاق : جمع زق ، وهو وعاء الخمر .

(٢) الخرشاء هنا : ما يعلو على وجه الرقاقة من الدقيق الأبيض حين تحف . وفي الأصول :

الخرشاء . تحريف . (٣) الجامات : السكثوس ، جمع جام .

(٤) هذا البيت والبيتان اللذان بعده : في نهاية الأرب ١١ : ٥٩ ومباهج الفكر ٣١٨

وروتاه : أكثر أعوان .

(٥) في نهاية الأرب ومباهج الفكر : أحجار قشره ، وهو أحسن .

(٦) الغلائل : الثياب الرقيقة ، جمع غلالة . والرطاب : الرخصة ، وفي نهاية الأرب ومباهج

الفكر : غلاتلًا حرا . وفي المباهج : جسوم الروم .

صَيَّرَتْهُ يَا ذَا الْعَمَلِ السَّيِّئِ شَابُورَةَ لَيْسَتْ لَهَا سَمِيَّةُ^(١)
 ثُمَّتَ أَغْلِ الشَّبْرِقِ الْمُقَشَّرَا مِنْ فَوْقِهِ حَتَّى تَرَاهُ أَحْمَرَا^(٢)
 مُكْتَسِيًا حُلَّتُهُ الْخُمْرِيَّةُ مِنْ بَعْدِ مَا عَهَدَتْهَا فِضِّيَّةُ
 ثُمَّ أَدِرْ كَأْسَ الشَّمُولِ مِنْهَا أَكْرِمْ بِهَذَا مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا^(٣)
 فَلَسْتَ فِي فِعْلِكَ ذَا مُبَدَّرَا كَلَّا وَلَا فِي حَقْنًا مُقْصَرَا

٦٨ - حسد^(٤) :

لَا تَحْسُدَنَّ صَدِيقًا عَلَى تَرَائِدِ نِعْمَةٍ
 فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدِي سَقُوطُ نَفْسٍ وَهَمَّةُ

٦٩ - الصَّبُوحُ^(٥) :

صَحِكَ الْفَجْرُ سَاخِرًا بِالظَّلَامِ حِينَ فُلَّتْ جِيوشُهُ بَانْهَزَامِ
 لَاحَ فِي الْحَنْدِسِ الْبَهِيمِ يُحَاكِي مَلِكَ الرُّومِ بَيْنَ أَبْنَاءِ حَامِ^(٦)
 فَدَعَ اللُّومَ وَاسْتَقْنِيهَا كُمَيْتَا سَبَكَتْ تَبْرَهَا يَدُ الْآيَامِ^(٧)

(١) جاء في القاموس : « الشبر : شئ ، يتعاطاه النصارى كالقربان ، أو القربان بعينه » ، ولعله يسمى الشابورة أيضا .

(٢) الشبرق : نبات غرض ، ثمرة شائكة صغيرة الجرم حمراء . (٣) الشمول : الخمر الباردة .

(٤) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤١

(٥) مصادرها : نثار الأزهار ٤٦ .

(٦) الحندس : الليل الشديد الظلمة . البهيم : الخالص السواد .

(٧) السكيت : الخمر ، لونها أحمر يعيل إلى السواد .

٧٠ - زورة الحبيب^(١) :

زارني في دُجَى الظلامِ البَهِيمِ قمرٌ باتَ مؤنِسِي وندِيعِي
بحديثٍ كأنَّه عَوْدَةُ الصَّحَّةِ فِي الجِسمِ بعدَ يَأْسِ السَّقِيمِ
تتلقَى القلوبُ منه قُبُولًا كَتَلَقَّى المَخمورِ بردَ النسيمِ

النون

٧١ - طيب الرِّيق^(٢) :

رِيقٌ إذا ما ازددتُ من شُرْبِهِ رِيًّا ، ثَنَانِي الرِّئُ ظَمَانَا
كالخمرِ أَرَوَى ما يَكُونُ الفَتَى من شُرْبِهَا أَعْطَشَ ما كَانَا

٧٢ - مرض الحبيب^(٣)

لو كان كلُّ عَليْلِ يزدادُ مثلكَ حُسْنًا
لكان كلُّ صَحِيحٍ يودُّ لو كان مُضْنِي
يا أكملَ الناسِ حُسْنًا صَلِّ أكملَ الناسِ حُزْنًا
غَنِيَتَ عَنِّي ومَالِي وَجْهٌ به عَنكَ أَغْنِي !

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٩ .

(٢) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٩ . ونهاية الأرب ٢ : ٦٠ ، ونسبها إلى ابن وكيع البستي ، خطأ .

(٣) مصادرها : الصبح المنبي ، عن حبيبة المتنبى ١٥٨ .

٧٣ — دعوة^(١) :

كُتِبَتْ وَفَرَطُ شَوْقِي قَدْ عَنَانِي وَقَدْ بَعْدَ اللَّقَاءِ عَلَى التَّدَانِي^(٢)
 وَمَا فِي الْبَيْتِ لِي ثَانٍ فَكُنْ لِي جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا مَوْلَايَ — ثَانِي
 فَعِنْدِي مَا يَجَاوِزُ كُلَّ وَصْفٍ وَمَا يُرْضِي الْخَلِيلَ إِذَا أَتَانِي
 خَرُوفٌ أَظْهَرَ الشَّوَاءَ فِيهِ تَأْتَقَهُ فَلَيْسَ لَهُ مُدَانِي
 غِلَاةٌ بَاطِنٌ مِنْهُ لُجَيْنٌ وَظَاهِرُهُ غِلَاةٌ زَعْفَرَانٍ^(٣)
 وَكُلُّهُ مِثْلُ عَيْنِ الدِّيكِ صِرْفٌ لَهَا حَبَبٌ كَمَنْظُومِ الْجَمَانِ^(٤)
 تَقَادِمَ عَهْدُهَا فَبَدَتْ كَشَخْصٍ عَزِيمِ الْحُسْنِ مَوْجُودِ الْعِيَانِ^(٥)
 لَهَا فِي كَفِّ شَارِبِهَا شُعَاعٌ تَطَرَّفَ مِنْهُ مُبَيَّضُ الْبَنَانِ^(٦)
 يَطُوفُ بِشَمْسِهَا قَمَرٌ مُنِيرٌ تَمَكَّنَ طَالِعَا فِي غُصْنِ بَانٍ^(٧)
 وَإِنْ أَحْبَبْتَ مُسَمِّعَةً أَتَتْنَا مُحَذِّقَةً بِأَصْنَافِ الْأَغَانِي^(٨)
 تُطَلِّقُ هَمَّ سَامِعِهَا ثَلَاثًا بِتَحْرِيكِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي^(٩)
 فَهَذَا عِنْدَنَا ، وَلَدُونِ هَذَا لَعَمْرُكَ مَا كِفَاكَ وَمَا كِفَانِي
 فَزُرْنَا لَا عَدِمْتُكَ مِنْ صَدِيقٍ تَتِمُّ لَنَا بِنُورَتِهِ الْأَمَانِي

(١) مصادرها : ينمية الدهر ١ : ٣٤٢ . (٢) عناء : شغله وأهمه .

(٣) الغلالة : الثوب الخفيف . واللجين : الفضة .

(٤) الصرف : النقية الخالصة . والجمان : الأولو .

(٥) عديم الحسن : أى لا يوجد من يماثله حسنا .

(٦) تطرف منه : تخضب منه بنانه الأبيض بلون أحمر .

(٧) البان : شجر معتدل القوام تشبه به القدود . (٨) السمعة : المغنية . والمحذقة : الماهرة .

(٩) للمثالث : جمع مثلث ، وهو ثالث أوتار العود . والمثاني جمع مثني ، وهو ثاني الأوتار .

٧٤ - الصَّعْتَرَى^(١) :

صَعْتَرَى أَرْقُ مِنْ أَرْجُلِ النَّمْلِ وَأَذْكَى مِنْ نَفْحَةِ الزَّعْفَرَانِ
كَسْطُورِ كُسَيْنَ تَقْطَأَ وَشَكْلًا مِنْ يَدَى كَاتِبِ ظَرِيفِ الْبَنَانِ^(٢)
٧٥ - ثَقِيل^(٣) :

ما السُّقْمُ فِي سَفَرٍ وَالَّذِينَ مَعَ عُدْمٍ يَوْمًا بِأَثْقَلٍ مِنْهُ حِينَ يَلْقَانِي^(٤)
مَالِي عَلَيْهِ مُعِينٌ حِينَ أَبْصَرَهُ غَيْرُ الصَّدُودِ وَتَغْمِيضٍ لِأَجْفَانِ
٧٦ - متى الزهد^(٥) ؟ :

ازهدْ إِذَا الدُّنْيَا أَنَا لَتَكَ الْمُتَى فَهَنَّاكَ زُهْدُكَ مِنْ شُرُوطِ الدِّينِ
٧٧ - شِمَاتة^(٦) :

لَقَدْ شِمْتُ بِقَلْبِي لَا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ
كَمْ لُتُّهُ فِي هَوَاهُ فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْهُ^(٧)

(١) مصادرهما : نهاية الأرب ١١ : ٢٥٥ . وتحفة المجالس ٢٢٥ . وحسن المحاضرة ٢ : ٢٩٢ . ومباهج الفكر ٤٣٢ . (٢) الصعترى : نوع من الريحان . وفي تحفة المجالس : ظريف البيان .

(٣) مصادرهما : يتيمة الدهر ١ : ٣٤٠ (٤) العدم : الفقر .

(٥) مصادرهما : يتيمة الدهر ١ : ٣٥١ .

(٦) مصادرهما : وفيات الأعيان ١ : ٢٠٢ .

وقال ابن خلكان بعد أن أتى بها : وقد ألم بهذا المعنى بعضهم فقال :

لا رعى الله عزمة ضمنت لي سألوة القلب والتصبر عنه
ما وفيت غير ساعة ثم عادت مثل قلبي تقول : لا بد منه
ومثله قول أسامة بن منقذ :

لا تستعز جلدًا على هجرانهم فقواك تضعف عن سدود دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم طوعا ، وإلا عدت عودة راغم
(٧) هواه : كذا في الوفيات ١ : ١٧١ طبع بلاق ١٢٩٩ هـ ، وفي مطبوعة باريس : هوى .

الهــا

٧٨ - وحكى ابن وكيع أنه كان يهوى غلاما نصرانيا يتيس ،
فلامه بعض أصحابه عليه ، ولم يكن رآه . فاتفق أن الغلام مر بهما ، فلما
رآه صاحب ابن وكيع استحسنه ، وقال : « لو عشقت هذا ما لمتك » . ولم يعلم
أنه محبوبه الذى لامه عليه . فقال ابن وكيع فى الحال ^(١) :

أَبْصَرُهُ عَازِلِي عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَا رَأَاهُ ^(٢)
فَقَالَ لِي : لَوْ هَوَيْتَ هَذَا مَا لَأَمَكَ النَّاسُ فِي هَوَاهُ ^(٣)
قُلْ لِي : إِلَى مَنْ عَدَلْتَ عَنْهُ فَلَيْسَ أَهْلُ الْهَوَى سِوَاهُ ؟
فَظَلَّ ^(٤) مِنْ حَيْثُ لَيْسَ يَدْرِي يَأْمُرُ بِالْحُبِّ مَنْ نَهَاهُ !
٧٩ - هجاء ^(٥) :

لَيْسَ لِي لَازِلٌ يَلْمُ وَفَرًا لَوَارِثُهُ فَيَنْفِخُ عَنْ حِمَاهُ ^(٦)
كَكَلْبٍ الصَّيْدِ يُمَسِّكُ وَهُوَ طَاوٍ
فَرِيَسْتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ ^(٧)

(١) مصادرها : ديوان الصبابة ١٠٤ وتزوين الأسواق ١٩٩ وبتيمة الدهر ١ : ٣٤٠ . ووفيات
الأعيان ١ : ٢٠٢ ونهاية الأرب ٢ : ٢٤٢ . وسبق له مقطوعة تشبه هذه ، انظر رقم ٢٢ .
(٢) فى تزوين الأسواق : ولم يكن قبلها . (٣) فى نهاية الأرب والتزوين : لو عشقت هذا .
(٤) فى نهاية الأرب : وظل . (٥) مصادرها : المنصف ، الورقة ١١٣ .
(٦) الوفى : الغنى والمال الكثير . وينفخ : يصد ويدافع .
(٧) الطاوى : الجائع .

الياء

٨٠ - النجوم والسماء ^(١) :

أَمَا تَرَى أَنْجُمَ الدِّيَاجِي تَزْهَرُ فِي جَوْفِهَا النَّقِّ ^(٢)
تَحْكِي لَنَا لَوْلُؤًا نَثِيرًا عَلَى بَسَاطِ بَنْفَسَجِي ^(٣)

٨١ - خمول ^(٤) :

لَقَدْ قَنَعَتْ هَمَّتِي بِالْخُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ الرَّتَبِ الْعَالِيَةِ
وَمَا جَهِلْتُ طَعْمَ طَيْبِ الْعَلَا وَلَكِنَّهَا تُؤَثِّرُ الْعَافِيَةَ

٨٢ - زهر الباقلاء ^(٥) :

كَأَنَّ أَوْرَاقَ زَهْرٍ لِلْبَاقِلَاءِ بَهِيَّةٌ ^(٦)
خَوَاتِمٌ مِنْ لَجِينٍ فُصُوصُهَا حَبَشِيَّةٌ ^(٧)

(١) مصادرها : حلبة الكميت ، الورقة ٩٨ .

(٢) الدياجي : الظلمات . وتزهر : تضيء . وفي النسخة المطبوعة : ثوبها ، في موضع : جوفها .

(٣) تحكي : تشابه . ونثيرا : منشورا مفرقا ، وفي المطبوعة : رطيبا .

(٤) مصادرها : وفيات الأعيان ١ : ٢٠٢ . ومراة الجنان ٢ : ٤٤٥ . وشذرات الذهب

٣ : ١٤١ . وقال صاحب مراة الجنان : « قال بعض الفقهاء : أنشدت الشيخ أبا الفتح القضاعي
المدرس بترية الشافعي في القرافة ، بيتي ابن وكيع المذكورين ، فأنشدني لنفسه على البدية :

بقدر الصمود يكون الهبوط فإياك والرتب العاليه

وكن في مكان إذا ما سقطت تقوم ورجلاك في عافيه

(٥) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤٠ . ونهاية الأرب ١١ : ٢٢ .

(٦) الباقلاء : الفول الأخضر وفي نهاية الأرب : ورد للباقلاء

(٧) اللجين : الغضة .

ضميمة

عثرت على المقطوعتين التاليتين في نسختين مخطوطتين من يتيمة الدهر
للشعالبي بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨١ ، ٧٤٤٠ أدب :

٨٣ - أنشدني له محمد بن عمر الزاهد :

صديق لي له أدبُ صداقه مثله نسبُ
رعى لي فوق ما يُرعى وأوجب فوق ما يجبُ
فلو نُقِدتْ خلائقه تَهْرَجَ عندها الذهبُ^(١)

٨٤ - دمع وسهر :

رُبَّ ليلٍ لم أذُق فيه الكرى حَظُّ عيني فيه دمعٌ وسهرٌ
طال حتى خَلَّتْهُ لا ينقضي ونأى الصَّبْحُ فما منه أثرٌ
كلما هَبَّجَ شوقي حُرِّقَ صحتُ: ياليلي، أما فيك سَحَرُ^(٢)

انتهى ما وجدته من شعر ابن وكيع التنيسي
والحمد لله أولا وآخرا

(١) تَهْرَجَ الذهب : أى صار بهرجا لا قيمة له .

(٢) الحرق : الأحزان والآلام .

محتويات الكتاب

صفحة

١ -	مقدمة: ابن وكيع وشعره	٣
	(أ) تنيس : موطن الشاعر	٣
	(ب) عصر الشاعر : الحياة السيامية والاجتماعية في القرن الرابع	٧
	(ج) بنوضه : قبيلة الشاعر	١٠
	(د) آل وكيع : أسرة الشاعر	١٢
	(هـ) الشاعر	١٣
	(و) شعر ابن وكيع :	١٤
	الزهریات	١٤
	الخمريات	١٩
	الفزل	٢٥
	الهجاء	٢٩
	النصائح	٣٠
	(ز) فنه الشعري	٣١
٢ -	مراجع المقدمة	٣٥
٣ -	مصادر شعر ابن وكيع	٣٦
٤ -	ما وجدته من شعر ابن وكيع :	٣٧
	الباء	٣٨
	الجيم	٤٢
	الدال	٤٣
	الراء	٥٤
	السين	٨٢
	العين	٨٢
	الفاء	٨٢
	القاف	٨٥
	اللام	٨٦
	الكاف	٨٦
	الميم	٩١
	النون	٩٦
	الهاء	٩٩
	الياء	١٠٠
٥ -	ضميمة	١٠١
	المحتويات	١٠٢

رجاء

عثر على بعض المقطوعات بعد أن طبعت المقدمة ، أدخلتها في موضعها واضطرت إلى حذف مقطوعة ، من الكتاب ، فتغير ترتيب القصائد وأرقامها عما كان في المقدمة .
فأرجو ملاحظة أن أغلب الأرقام المذكورة فيها تزيد «واحد» ، فرقم ٢٩ الموجود في السطر ٤ من الصفحة ٢٢ مثلاً صار ٢٨ ، وكذا الحال مع أغلب الأرقام .

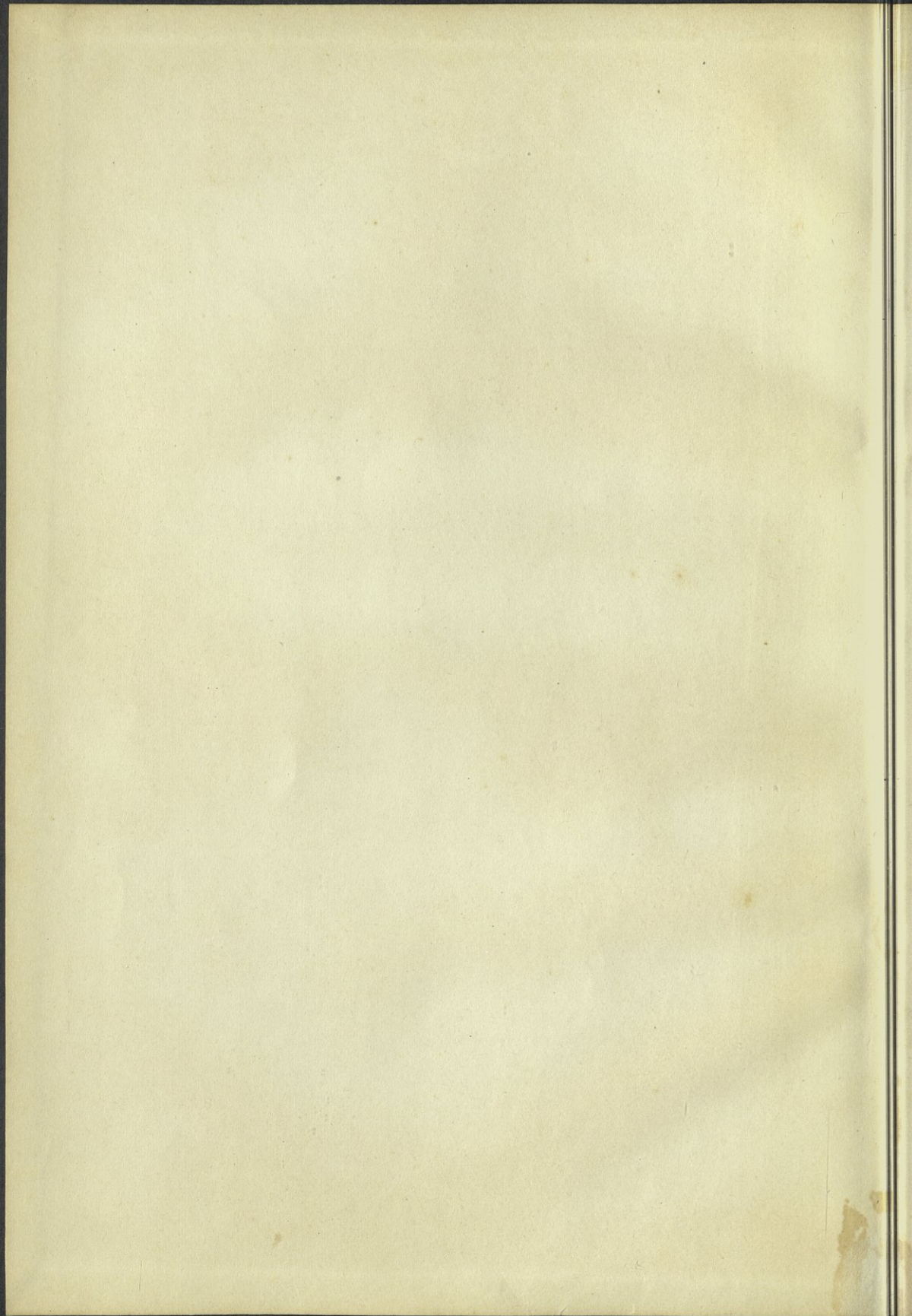
تصويب

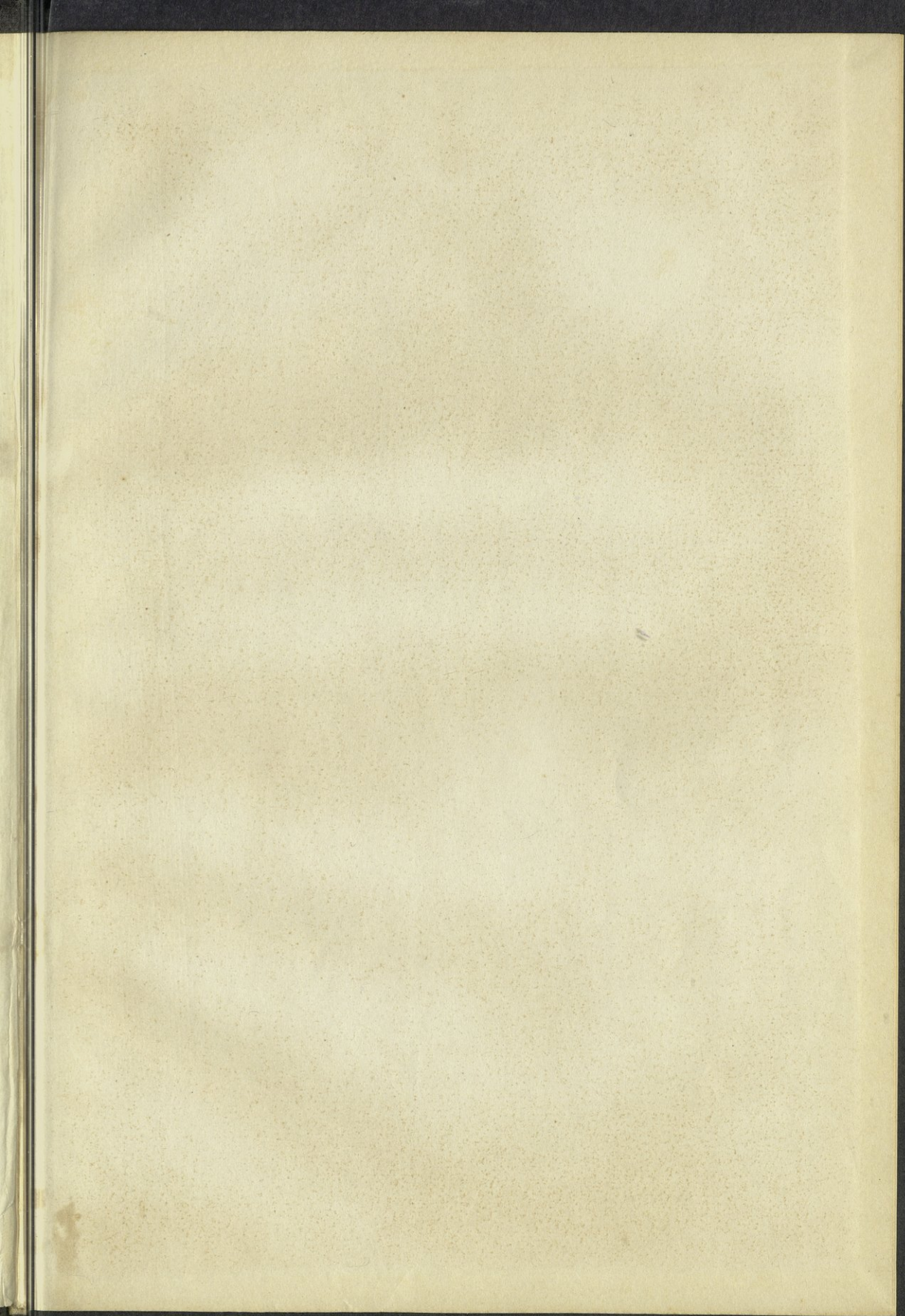
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٥	٣	دَقَّ	رَاقَ	٧٤	١٣	(٧)	(٦)
٤٧	١٠	الغليظُ	الغليظُ	٨٥	١٠	يصدُّنك	يصدَّ نك
٤٧	٢٢	الخافي	الجافي	٨٧	١٧	بداه	بداء
٥١	١	هجرتي	هجرتي	٨٨	١	البرادن	البردان
٥١	٢	تَشْفَعُهُ	تَشْفَعُهُ	٨٨	١٦	اتقادها	اتقادها
٥٢	١٤	الدوحُ	الدوح	٩٤	٩	-كي	يحي
٥٤	١٠	فضة	فضة	٩٤	١٠	الروم	الروم
٥٩	٢	أَنَّى	أَنَّى	٩٦	١٠	يزداد	يزداد

توضیح در باب

ملاحظه شود که این کتاب در سال ۱۳۰۲ هجری قمری در شهر تهران
 و در روز ۱۲ بهمن ماه ۱۳۰۲ هجری قمری در شهر تهران
 و در روز ۱۲ بهمن ماه ۱۳۰۲ هجری قمری در شهر تهران
 و در روز ۱۲ بهمن ماه ۱۳۰۲ هجری قمری در شهر تهران

ردیف	موضوع	تعداد	نوع	موضوع	تعداد	نوع	ردیف
۱	الف	۱	الف	الف	۱	الف	۱
۲	ب	۲	ب	ب	۲	ب	۲
۳	ج	۳	ج	ج	۳	ج	۳
۴	د	۴	د	د	۴	د	۴
۵	هـ	۵	هـ	هـ	۵	هـ	۵
۶	و	۶	و	و	۶	و	۶
۷	ز	۷	ز	ز	۷	ز	۷
۸	ح	۸	ح	ح	۸	ح	۸
۹	ط	۹	ط	ط	۹	ط	۹
۱۰	ث	۱۰	ث	ث	۱۰	ث	۱۰
۱۱	ج	۱۱	ج	ج	۱۱	ج	۱۱
۱۲	چ	۱۲	چ	چ	۱۲	چ	۱۲
۱۳	پ	۱۳	پ	پ	۱۳	پ	۱۳
۱۴	ف	۱۴	ف	ف	۱۴	ف	۱۴
۱۵	ق	۱۵	ق	ق	۱۵	ق	۱۵
۱۶	ک	۱۶	ک	ک	۱۶	ک	۱۶
۱۷	گ	۱۷	گ	گ	۱۷	گ	۱۷
۱۸	خ	۱۸	خ	خ	۱۸	خ	۱۸
۱۹	د	۱۹	د	د	۱۹	د	۱۹
۲۰	ذ	۲۰	ذ	ذ	۲۰	ذ	۲۰
۲۱	ر	۲۱	ر	ر	۲۱	ر	۲۱
۲۲	ز	۲۲	ز	ز	۲۲	ز	۲۲
۲۳	س	۲۳	س	س	۲۳	س	۲۳
۲۴	ش	۲۴	ش	ش	۲۴	ش	۲۴
۲۵	ص	۲۵	ص	ص	۲۵	ص	۲۵
۲۶	ض	۲۶	ض	ض	۲۶	ض	۲۶
۲۷	ط	۲۷	ط	ط	۲۷	ط	۲۷
۲۸	ظ	۲۸	ظ	ظ	۲۸	ظ	۲۸
۲۹	ع	۲۹	ع	ع	۲۹	ع	۲۹
۳۰	غ	۳۰	غ	غ	۳۰	غ	۳۰
۳۱	ف	۳۱	ف	ف	۳۱	ف	۳۱
۳۲	ق	۳۲	ق	ق	۳۲	ق	۳۲
۳۳	ک	۳۳	ک	ک	۳۳	ک	۳۳
۳۴	گ	۳۴	گ	گ	۳۴	گ	۳۴
۳۵	خ	۳۵	خ	خ	۳۵	خ	۳۵
۳۶	د	۳۶	د	د	۳۶	د	۳۶
۳۷	ذ	۳۷	ذ	ذ	۳۷	ذ	۳۷
۳۸	ر	۳۸	ر	ر	۳۸	ر	۳۸
۳۹	ز	۳۹	ز	ز	۳۹	ز	۳۹
۴۰	س	۴۰	س	س	۴۰	س	۴۰
۴۱	ش	۴۱	ش	ش	۴۱	ش	۴۱
۴۲	ص	۴۲	ص	ص	۴۲	ص	۴۲
۴۳	ض	۴۳	ض	ض	۴۳	ض	۴۳
۴۴	ط	۴۴	ط	ط	۴۴	ط	۴۴
۴۵	ظ	۴۵	ظ	ظ	۴۵	ظ	۴۵
۴۶	ع	۴۶	ع	ع	۴۶	ع	۴۶
۴۷	غ	۴۷	غ	غ	۴۷	غ	۴۷
۴۸	ف	۴۸	ف	ف	۴۸	ف	۴۸
۴۹	ق	۴۹	ق	ق	۴۹	ق	۴۹
۵۰	ک	۵۰	ک	ک	۵۰	ک	۵۰
۵۱	گ	۵۱	گ	گ	۵۱	گ	۵۱
۵۲	خ	۵۲	خ	خ	۵۲	خ	۵۲
۵۳	د	۵۳	د	د	۵۳	د	۵۳
۵۴	ذ	۵۴	ذ	ذ	۵۴	ذ	۵۴
۵۵	ر	۵۵	ر	ر	۵۵	ر	۵۵
۵۶	ز	۵۶	ز	ز	۵۶	ز	۵۶
۵۷	س	۵۷	س	س	۵۷	س	۵۷
۵۸	ش	۵۸	ش	ش	۵۸	ش	۵۸
۵۹	ص	۵۹	ص	ص	۵۹	ص	۵۹
۶۰	ض	۶۰	ض	ض	۶۰	ض	۶۰
۶۱	ط	۶۱	ط	ط	۶۱	ط	۶۱
۶۲	ظ	۶۲	ظ	ظ	۶۲	ظ	۶۲
۶۳	ع	۶۳	ع	ع	۶۳	ع	۶۳
۶۴	غ	۶۴	غ	غ	۶۴	غ	۶۴
۶۵	ف	۶۵	ف	ف	۶۵	ف	۶۵
۶۶	ق	۶۶	ق	ق	۶۶	ق	۶۶
۶۷	ک	۶۷	ک	ک	۶۷	ک	۶۷
۶۸	گ	۶۸	گ	گ	۶۸	گ	۶۸
۶۹	خ	۶۹	خ	خ	۶۹	خ	۶۹
۷۰	د	۷۰	د	د	۷۰	د	۷۰
۷۱	ذ	۷۱	ذ	ذ	۷۱	ذ	۷۱
۷۲	ر	۷۲	ر	ر	۷۲	ر	۷۲
۷۳	ز	۷۳	ز	ز	۷۳	ز	۷۳
۷۴	س	۷۴	س	س	۷۴	س	۷۴
۷۵	ش	۷۵	ش	ش	۷۵	ش	۷۵
۷۶	ص	۷۶	ص	ص	۷۶	ص	۷۶
۷۷	ض	۷۷	ض	ض	۷۷	ض	۷۷
۷۸	ط	۷۸	ط	ط	۷۸	ط	۷۸
۷۹	ظ	۷۹	ظ	ظ	۷۹	ظ	۷۹
۸۰	ع	۸۰	ع	ع	۸۰	ع	۸۰
۸۱	غ	۸۱	غ	غ	۸۱	غ	۸۱
۸۲	ف	۸۲	ف	ف	۸۲	ف	۸۲
۸۳	ق	۸۳	ق	ق	۸۳	ق	۸۳
۸۴	ک	۸۴	ک	ک	۸۴	ک	۸۴
۸۵	گ	۸۵	گ	گ	۸۵	گ	۸۵
۸۶	خ	۸۶	خ	خ	۸۶	خ	۸۶
۸۷	د	۸۷	د	د	۸۷	د	۸۷
۸۸	ذ	۸۸	ذ	ذ	۸۸	ذ	۸۸
۸۹	ر	۸۹	ر	ر	۸۹	ر	۸۹
۹۰	ز	۹۰	ز	ز	۹۰	ز	۹۰
۹۱	س	۹۱	س	س	۹۱	س	۹۱
۹۲	ش	۹۲	ش	ش	۹۲	ش	۹۲
۹۳	ص	۹۳	ص	ص	۹۳	ص	۹۳
۹۴	ض	۹۴	ض	ض	۹۴	ض	۹۴
۹۵	ط	۹۵	ط	ط	۹۵	ط	۹۵
۹۶	ظ	۹۶	ظ	ظ	۹۶	ظ	۹۶
۹۷	ع	۹۷	ع	ع	۹۷	ع	۹۷
۹۸	غ	۹۸	غ	غ	۹۸	غ	۹۸
۹۹	ف	۹۹	ف	ف	۹۹	ف	۹۹
۱۰۰	ق	۱۰۰	ق	ق	۱۰۰	ق	۱۰۰





A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00507964

CA
892.71
I149iA